



Bibliotheca Alexandrina
0145866

أعلام في الظهيرة

شروت أباطه

مكتبة غريب

احلام في الظهيرة

شروت أباضه

أعلام في الظهيرة

مكتبة غريب

حين كان الزمان مثل الموسيقى الحاملة الهادئة وكان
الناس فيه انغاما ساجية حائلة . ذلك الزمان الذي لم نره نحن
وانما هو بالنسبة اليينا روايات عن الآباء تلقفوها عن الأجداد
فأصبحنا ولا نعرف عنه الا حياجه ومتعته ، الجلسة الهادئة
المليئة بالسعادة والضحك والهناء ، فالأجيال جميعا تحب ان تنظر
الى أمس الغارب وتكره الحاضر وما تشهده فيه من صراع وتخشى
المستقبل الذي تطل عليها بواكيره مكشرة الأنياب رهيبية السمات .

ذلك الزمان البعيد عنا هو أحب الأزمان علينا لأننا لم
نشهده ولا نستطيع ان نعرف منه الا ما حلا للأجداد ان يرووه
لأبنائهم الذين هم أبائنا ونقله اليينا الآباء سعداء بما ينقلون
مقارنين دائما بين الخير الذي كان يشيع في جوانبه والشر الذي
يفشو في الزمان الذي يعيشون فيه . وهكذا أصبح شأننا نحن
ايضا لا يختلف جيلنا الحاضر عن اجيالنا السابقة فأصبحنا
ساحطين نحن نفوسنا الى هذه الملاوة من الزمن التي كنا فيها .

بلا مسئولية وبلا صراع وكان ابائنا يحملون عنا العبء جميعا
ونحن نتصور - كما يتصور ابائنا اليوم - ان عليهم ان يحملوا
العبء وعلينا نحن ان نسعد وعليهم هم ان يحبونا وعلينا نحن
ان نحترمهم فقط ثم لا نصنع شيئا من بعد .

في ذلك الزمان البعيد بدأت أسرة وهدان تتكون . وكان
رأس الأسرة طفلا بريئا في اللعب يلهو مع اقربائه من الاطفال
لا فارق ثمة بين طفل وطفلة ولا بين قادر بسط الله الرزق لآبيه وبين
معسر قدر الله سبحانه - لحكمة لا يعلمها الا هو - الرزق على
نويه . في ذلك الزمان كان وهدان يحب نبوية ذلك الحب الطفل
الطيب الذي لا يعنى عند أى منهما الا خفقة في القلب وفرحة عند
اللقاء وشوقا عند التباعد .

وحين شب كلاهما عن الطقولة الى الصبا القريب من الفتوة
احتجبت نبوية ولم تصبح الحياة كلها لعبا عند وهدان . بل
كان يحلو له ان يتشبه بالرجال ويقف في الجرن ويرقب النورج
او يركبه . او يقف في الغيط يجمع القطن او يرقب من يجمعونه .
وما كان أبوه غنيا ولم يكن أيضا معسرا وانما هي أربعة أفدنة
تنأى بأبيه عن الأجراء لتضعه في مصاف الملاك .

ولكن الحقيقة مع ذلك تبقى كما هي أربعة فدادين .

كانت الشمس ساخطة على الأرض ، تكويها بشواظ لاهب
من النار ، وكان النورج يدور وقد أوشك هو الآخر ان ينجس
العرق من خشبته أو من عجلاته الصلبة الحادة وهي تمر في دائرة
مفرغة على عيدان القمح في ملالة وضيق يجرها الثور الكبير
وقد أوشك ان يتهاوى من شدة الحر . وكان وهدان يعتلى صهوة

الدكة الخشبية التي يجلس اليها من يسوق الثور ويبيده سوط
مفتول من لحاء أشجار التيل الذي يزرعونه حول حقول القطن
ليرد عنها عادية الأثرية وعنوان الحيوان .

وكان يدري أن الجرن الذي يتلبس فيه ملابس الرجال نوى
الأعمال هو الطريق الطبيعي لسير نبوية . وكانت هي أيضا
تعلم تلك فكانت تظل في هذا اللهب من الحر رائحة جائية تتظاهر
بانها تؤدي مطالب المنزل وعلم الله وأحسب أن وهدان أيضا كان
يعلم أنها لا تكثر من المرور الا لتلتقى نظراتها بنظراته وتطفو الى
شفاه كل منهما تلك الابتسامة الوادعة الحنون التي يخفق لها
القلب ذلك الخفق الدؤوب الجديد المرتفع الوجيب المتخافت الصوت
حذر أن يطلع عليه من شهود اللقاء أحد .

كانت حياة وهدان منذ البواكير الأولى من سنوات عمره
حياة جادة حازمة كلها عمل . وربما كانت سنوات الكتاب التي
تتسم بعنف العلم وصعوبة العلم بالنسبة لوهدان هي أحدى هذه
السنوات وأخفها وطأة عليه لو كان من هؤلاء الذين يرون في
العمل جهدا وشقاء . ولكنه كان من الذين يحبون أن يعملوا .
ولا يقومون بالعمل ان كان ممثعا أو غير ممتع . وإنما هو عمل
ولابد أن يؤدي فهو يؤديه كما يتنفس الهواء ويطعم الطعام .

ولم يكن جلوسه على النورج في هذه السن المبكرة لعبا
شان رفاقه من الصبية . فما هي الا أيام قليلة ركب فيها النورج
لهوا ومراحا ثم سحب أبوه المكلف بإدارة النورج ، ووجهه الى
أعمال أخرى وترك النورج بكل ما يتصل به من أعمال عهدة في
ذمة وهدان ، فهو الذي يجمع اكوام التبن والقمح ويمد النورج

بزياده الحديد عن اعواد القمح ذات المسنابل حتى اذا مالت الشمس الى منزلها من المصير توجه الى كوم القمح رجلان او ثلاثة اهداء لينثروا الاكوام فينفصل القمح عن التبن بنفس الوسيلة التي كان يتبعها اجدادهم واجداد اجدادهم منذ عرف الانسان القمح كوسيلة لصنع العيش .

ومرت الايام . واوشك موسم الحصاد ان ينتهى وبدأت المخاوف تساور الصبيين اللذين التقيا بشبابهما مع انسام القمح ان يصبح اللقاء بينهما غير ميسور .

وكانت الشمس في السماء حريقا وكان النورج يدور دورات كان وهدان في غير حاجة اليها ولكنه يديره ليجد عند نفسه او عند المسارة عنرا ينتظر به مرور نبوية حتى اذا مرت قفز من النورج قفزة سريعة ملهوقا يريد ان يظفر منها بوعد على اللقاء ولكن مسمارا في النورج يمسك بجلبابه فاذا وهدان تحت النورج واذا الأسلحة تبتز نراعه الأيسر أو تكاد وترى نبوية ما حل بجيبها وتصرخ بأعلى صوت لها فيدوى صراخها فيملا انحاء القرية وتجري الى وهدان الذي فقد وعيه فتبعده عن النورج وتعهد الى خسارها وتسد به نواقير الدماء المندفعة من الذراع وتحضن الفتى في لوعة وتصرخ لا يعنيتها ان يراها الناس ، ويقبل الملا من كل حسب وينقلون وهدان الى حلاق الصنحة وتلازمه نبوية لا تتركه ويضطر ابواها اللذان جاءا مع الجموع ان يلازماها مدركين ما ينفطر به قلب الابنة .

وحين تطمئن الجموع على حياة وهدان ينصرف كل الى شأنه الا نبوية . ويقول الأب لزوجته وابنته :

— اذهبوا انتما فاني سابقى

ولا يدري احد او لعل كل محب يدري من اين استطاعت
تجوية ان تاتي بكل هذه الشجاعة التي تجعلها تقول لابيها في حسم
قناطع لا يقبل المناقشة :

— انا سابقى يا ابا ..

ويخشى الأب ان يجاوز النقاش ما بلغه من حسم فينفضح من
حب الفتاة الطاهر ما ينبغي ان يظل في طي الكتمان ويقول في
استملاك :

— ونبقى نحن ايضا ..

ومع انسام الفجر تنقطع اهات وهمدان التي ظلت تدوى
سلوال الليل وتوقظ نبوية التي لم تنم اباهما وامها من نومهما
الجالس ويتجه ثلاثتهم الى بيتهم .

أى تحد تلبس وهدان منذ ذلك اليوم • كان يعرف نفسه طفلا
لاهايا اذا دعاه الرفاق الى اللهو • وكان يعرف نفسه أيضا يقبل
على العمل مع ابيه كلما دعاه أبوه الى ذلك العمل • ولم يكن
يعرف فى نفسه أن اقباله على العمل ما كان الا ليستجلب الى
كيانه وجوانحه ذلك الشعور بأنه بلغ مبالغ الرجال • وأنه يستطيع
أن يقوم بعملهم ويسير طريقهم ويخطط فى الحياة خطتهم • وأنه
بذلك يستطيع أن يحدث نبوية وكأنه رجل • وأنه خف القطن مع
أبيه وأنه جمع مع الجامعين وأنه فى موسم القرة يقرط ثمارها
عن كوالحها وأنه فى موسم القمح يدرسه كما راته • كان يحب
أن يصنع هذا الصنيع ولم يكن يدرى أنه يحب ذلك جميعه لينشئ
منه حديثا مع نبوية فى امسيات الصيف وبمشهد من الحقول ومن
اشجار الكافور والعمل ومع روائح الزروع ومع انسام اللعيق
الإلهى تسرى فى خفايا الليل بكرا دائما كأنها لأول مرة تنطلق
الى أرجاء الحياة ••

وحين أصابه هذا الذي أصابه وأصبح بهزاع واحدة ظل طوال فترة علاجه يفكر .. يصبح عاجزا .. أيثير الشفقة كلما وقعت عليه عين .. أيكون في الحياة أنسانا ناقصا .. لا أمل من بعد في نبوية .. ولكن ماذا بعد .. ان تلك وحدها كارثة الكوارث أجمعين ولكنها حصلت .. وقعت .. بترت نراعه .. أصبح على الحياة عالة .. أيفقد نبوية ويفقد كرامته في وقت معا .. لقرين حتى الأيام ما لم تتوقعه مني حين كنت ضحيفا بل وما لا تتوقعه من صحيح آخر مهما تكن قوته وجبروته .

لأكونن اشد عنفا عليها مما عنفت به على .. فتى كان في أول عهده بالفتوة ينام في سريره ليعالج في ذلك الزمان البعيد كل البعد عن زماننا اليسوم .. والأيام تتناول به والمرض جائح باقر والنواء بدائى يخبو مايزال في ظلمات نواص من الجهل والتأخر .. ماذا يصنع الفتى اذا لم يتوعد الحياة ويهددها ... وما البأس عليه وهو نائم والحياة كلها يقظة وداب وعمل وكبح

ولكن نبوية تعوده كل يوم .. فما له انن يقطع ان الأمل في الزواج بها قد انقطع ؟ وماله يجعل فقدانها أمرا لا مفر منه ولا شك فيه ولا سبيل اليه . والمعجيب المعجيب انه كان يكره زيارتها وان كان قلبه يعلو به الوجيب طسبوال الفترة التي تستغرقها الزيارة . وكان يرى في عيني امه وابيه علامات تعجب فقد كان الفتيان والفتيات يزوجون في مثل هذه السن في هذه الأيام فما لهذه الفتاة لا تقنى حياءها وما لها تصر على زيارة فتى بترت نراعه ويصلح لها عريسا . اتظن انه مادامت نراعه قد بترت فهو لن يتزوج على أية حال .. انها مجرد نراع أيتها الفتاة .. وما تمنع الذراع المبتورة الفتى ان يتزوج . فما مجيبك هذا كل

يوم في جراحة لا تكون الا لزوجة كتب كتابها ودخلت ايضا . فما كان يجوز ان يكتب كتابها ولم يدخل بها زوجها ان تذهب الى بيته وحدها . . . بله الخطيئة . . . بله التي ليست بهذه . ولا بتلك .

عجيب شان نبوية في رأى الاب والام معا .

أما وهدان فقد استقر به الرأى على واحدة من اثنتين . . . اما انها تشفق عليه في هذه المحنة الطاحنة • واما انها تريد ان تحيي موات أمله حتى ينتهى العلاج ويخرج الى الحياة مرة اخرى . وكلا السببين كان يجعله يحزن كلما جاءت لزيارته ، وقد كانت زيارتها يومية وكلا السببين لم يستطع ان يجعل قلبه يكف عن الوجيف . . . وجيفا عاليا دراكا يكاد يعلن عن نفسه للملا الحاضرين بل والغيب أيضا .

وشفى وهدان . . . وخرج للحياة ورضى عن نفسه وهو يجعل من أحلام المرض وهذائه حقا واقعا وقور حياة جادا جدية من لا يهذى ولا يعرف الى الهداء سبيلا .

هو في الغيظ منذ الصباح الباكر وهو لا يعود الى البيت الا بعد ان تغيب الشمس وتوغل في الغيب وتأتى اليه نبوية في الغيظ وعلى ملا من الذين يعملون فيه وتجالسه . في أول يوم ذهب فيه الى العمل . وحرص ان يجعل الحديث بعيدا عن مواطن القلب وحرص على الا يتخاضع لها في الكلام وانما شكرها لأنها جاءت تهنته بسلامة الخروج وشغل نفسه بالذين يعزقون الأرض لا ينصرف عنهم ولا يميل اليها بكلمة . وان كانت نفسه جميعا باقية بجانبها لا تستطيع عنها منصرفا ولا تطيق منها فكاكا .

وابتسمت نبوية بذلك الشغافية التي عرفها الريف في قلوب فتياته
وبنياته . فمع أنها كانت ترى وجه وهدان وهو منصرف عنها الى
فؤوس العاملين الا انها كانت واثقة ان نفسه جميعا بقلبها
وجوانحها بجانبها . انتظرت مليا ثم قالت في شبه همس وفي
صوت اغن :

ـ فتك بعافية يا وهدان .

وقال دون ان ينظر اليها :

ـ مع السلامة .

وصحبت نفسه وجوانحه وانصرفت ، وقال هامسا لما بقي
منه . . ما تزال تحاول تشجيعي على مصيبتى . .

وفي اليوم التالي جاءت نبوية ولم يطق وهدان صبرا . . .
لمسك يدها وانتفض جسمه انتفاضة لم يعرفها في حياته قط وابتعد
بها عن الجميع :

ـ مجيئك بالأمس يرى فيه العاملون فتاة تهنىء ابن قرينتها
بالعودة الى العمل اما مجيئك اليوم فغير مقبول . . . عودي الى
البيت .

ـ وكيف أراك .

ـ سأجىء انا اليك .

ـ أين ومتى ؟

ـ اوافق ابوك على مجيئك ؟

ـ لم أسأله .

ـ اتظنين أنه يوافق ؟ !

ـ اذا اتصل الأمر بي وبك فانا لا أفكر .

أحس بالكلمة كأنها رصاصية أصابت منه كل المقاتل ونظر الى
ذراعه المبتورة وأبقي عينيه عليها لتخفيا سمعات تبادلرت فهمس وقال
بصوت لا يكاد يسمع ولكن في نبرته امر وحسم .
- عودى الى بيتك .

وفي غير تردد قالت وهي تولى عنه :

- امرك هو الأمر الوحيد الذي لا اناقشه . . فتك بمافية .

وتزداد الدموع وبلا من عينيه . . . أما عافية الجسم فقد
انالها أما عافية الروح فهيهات .

وظل وهدان يذهب الى الغيظ كل يوم ومرت شهور وكان أبوه
يظن أول الأمر انها نزوة جريح فقد ذراعه ولا يريد أن يصاحب الفتية
فيما يضطربون فيه حتى اذا تتابعت الشهور وأوشكت أن تكتمل
عاما أصبح الأب في غناء عن الذهاب الى الحقل وراح يقضى نهاره
في جلسته الحبيبة عند عبد الحميد ابو ديدة الخياط الذي لا تمنعه
صنعتة عن الحديث ولا عن سماع من يقرأ الجريدة له .

وكانت نبوية في كل يوم تذهب الى حيث ترى وهدان وتطمئن
عليه وتنصرف لا تقترب منه ولكن لا تمضى أو تكون واثقة انه رآها .

اذن فالامر ليس اشفاقا . . . ولا هو بتشجيع . . .

جاءت من بعيد وراها فراح يجرى اليها بكل قوته وهي قوة
عاتية . . . وما كان في حاجة الى الجري فقد كان منها ان يقبل
اليها ولو اقبالة وأنية هينة وانها منتظرة وان استغرق خطوه اليها
عاما واعواما . . .

- ماذا تريدان يا نبوية ؟

- وبنون ان تفكر لحظة •
- - اريد ان اتزوجك •
- ومادت به الارض بما حوت وسناح •
- - انا بفراخ واحدة يا نبوية •
- وصاحت هي ايضا به •
- - وهل هذه جديدة على •
- وفي تعجب حزين •
- - ألم ينقطع حبك لى حين انقطع ذراعى •
- واجابته فى قوة حاسمة •
- - ومن قال لك انى كنت احب ذراعك •
- ويظلمىء راسه •
- - لم اصبح انسانا كاملا •
- ويعلمو صوتها وهي تقول •

- ومن قال لك ان الانسان ذراع او ساق ... ان الانسان
 قلب وحنان ورجولة واصرار ... احبيتك بعد ان فقدت ذراعك
 اضعاف اضعاف ما كنت احبك من قبل ، واحبيتك حين امرتنى الا
 اجيء اليك فى الفيط اضعاف اضعاف ما احبيتك بعد ان فقدت
 ذراعك ... وهدان ... اذا لم تتزوجنى فلن اتزوج طول عمري •
 وتزوجسا •

★ ★ ★

عجيب شأن الأيام والسنين . فالأيام تمر بطيئة متناقلة كأنما يدفعها القدر إلى المضي رغم انفها بينما تَمْضِي السِّنْوات مسرعة تلهب الزمان بشيائها وتندفع كالسيل الجارف فإذا الطفل فتي وإذا الفتى شاب وإذا الشباب كهل وإذا الكهل شيخ وإذا نظروا إلى أمسهم وجدوه قريبا منهم يكاثرون لو عدوا أيديهم أن يمسكوا به أو هكذا يخيل إليهم على الأقل . فهم يعلمون أن أمسهم الذي ولن بعيد عنهم بعدهم عن بدء الخليقة . ولكنه في أذهانهم وفي وجدانهم كأنه ما مضى . وقد يتجسم الخيال في نفوسهم ويوشكون أن يصدقوه فما هي إلا نظرة في مرآة أو قومة متناقلة يعوقها الكبر حتى يدركوا ما على اكتافهم من سنوات وتبين لهم الحقيقة أوضح ما يكون الواضح . أن السنين قد مرت ولم يكن مرورها بوهدان وزوجته عبثا فقد أنجبا سباعي وخليل وفاطمة وعابدة .

وكان وهدان طوال هذه السنوات خير فلاح في القرية وربما كان خير فلاح في المنطقة فاستطاع أن يشتري أربعين فدانا كاملة .

فقد كان حريصا ان يشتري في كل عام أرضا بما يفيض من ماله فلا يتكسر عنده مال الى عام قادم مرتقيا ان مستقبله ومستقبل اولاده جميعا هو هذه الأرض . ولكن عشرة أفدنة من هذه الأربعين لها قصة انت بالفها .

ومع كل هذه الارض التي اشتراها لم يعرف احد عنه بخلا ولا هو قصر في الانفاق على بنيه ولا هو كان شحيحا مع زوجه فما طلبت منه مطلبيا الا كانت اجابة هذا المطلب هي اول شيء يعسارح اليه . لم ينس انها قبلته بذراع واحدة على غير غنى فما كان ابوه يملك غير اربعة افدنة استطاع ان يصل بها الى خمسة قبل موته وبالجهد الذي بذله وهدان فما كان ابوه ذا همة وما كان يعنيه ان تزيد أرضه بقدر ما كان يعنيه ان يجلس الى عبد الحميد ابو ديدة الخياط .

ولم يحاول وهدان وهو يجمع هذه الأرض ان يكون جشعا يهتبل الفرص ويشترى ممن تلم بهم الضوائق او تعترض حياتهم الكوارث ولم ينس اهل (الصالحه) قريتهم ان سليمان النواوي الذي يملك ستة افدنة من اجود اراضي القرية جمعها من تجارة القطن التي كان يارعا فيها كل البراعة ضارب يوما في البورصة فاذا هو مدين دينا كبيرا وان كان لا يستغرق الأرض . وقصد عبد الحميد ابو ديدة الى وهدان وأوعز اليه ان يشتري أرض سليمان في هذه الفرصة ويفوز بها واذا بوهدان ينتفض عن انسان يعرف ان يكون اخاه فريسته :

— اترضى لي هذا يا عم عبد الحميد ؟ —

— وماذا فيها يا وهدان يا بنى ٠٠٠ هو معذور ٠٠٠ ولا بد
أن يسدد الدين وجميع أصدقائه فى التجارة مضروبون معه ولا
طريق له الا بيع الأرض فلماذا لا تشتريها أنت ٠٠؟

— قسما بأهل بيتى جميعا لو كان سليمان هذا يهوديا لا اعرفه
ولا يعرفنى ولا نحن أبناء بلدة واحدة ما فعلتها فكيف وهو ابن
قريتنا نشأنا نراه ويرانا وتتزاور زوجته وزوجتى ويلعب أطفالى
مع أطفاله ٠٠ صل على النبى يا عم عبد الحميد ٠٠

— عليه الصلاة والسلام يا وهدان يا ابنى ولكن اليس هذا
الذى تذكره سببا أن تنقذه من أزمته ٠٠

— أياكون ما تشير به انقاذا أم اجهازا عليه ؟

— على الأقل ستكون أنت رحيما معه فى الشراء وتدفع له
ثمان الأرض دون أن تخسف بها سابع أرض كما يعرض عليه
حمدان أبو اسماعيل ٠

— ولا هذا ٠٠

— اذن فقد أضعت الرجل وأنت تحاول أن تنقذه ٠

— وما كنت لأفعل هذا أيضا ٠

— فماذا أنت فاعل ٠٠؟

— قم معى وشترى ٠٠

وحين استقر بهم المجلس عند سليمان قال سليمان دون ريث
من التفكير :

– الحمد لله انك جئت يا همدان ..

– تحت أمرك يا سليمان ..

– والله لا يشتري الأرض الا انت .. لقد خصف حمدان ثمنها
الى العثر وأنا مضطر للبيع ولكنني رفضت أن أبيعها له من شدة
غیظي منه أما أنت فأبيعك أياها بالثمن الذي عرضه وأكون سعيدا ..

– صل على النبي يا أبو داود ..

– عليه الصلاة والسلام .. أتريد أن تنزل بها عن ذلك
أيضا ؟ ..

– صل على النبي « آمال » .. خذ هذه الفلوس ..

– ما هذه .. الا نتفق الأول ؟ ..

– ولا نتفق ولا يحزنون خذ وصل على النبي ..

– بكم تريد الفدان ؟ ..

– لا أريده مطلقا .. لا أريده حتى ولو يعته لي بلا ثمن ..

– فما هذه الفلوس ؟ ..

– دينك .. أذهب فسده ..

– ماذا تقصد يا همدان ؟ ..

– ماذا جرى يا سليمان ، اكلاب مسعورة نحن حتى نتشم
الضوائق تحيط بنا سنا فنجعل منها فرصا لنا .. لا يا سليمان ..

لا عشنا ان كنا نفعل ذلك : سدد دينك والتجارة يوم في العالى
ويوم في الواطى وان خسانك السوق مرة فمصيره ان يكرمك في
المره القادمه ..

- اما سبحان الله .. ولكننا لسنا اصدقاء ..

- معارف .. وأولاد بك واحده ووشنا في وش بعضنا
البعض العمر كله .. وأنا كنت سأشترى بضعة أفدنة هذا العام
بهذا المال الفائض عندي فماذا يجرى اذا اجلنا الشراء الى العام
القادم ..

وصاح سليمان من الفرحة وكأنه يرى سحرا لا يصنعه احد من
ابناء الأرض ..

- أهذا معقول ؟ ..

- غير هذا هو الذى لا يعقل .. توكل على الله .. سلام
عليكم ..

- انتظر أكتب لك ورقة ..

- ولا ورقة ولا يحزنون ..

- لا .. هذا ليس من حقه ..

- انه مالى وأنا حر فيه ..

- اطال الله عمرك ولكنه ليس مالك انه مال أولادك وانت
أمين عليه ..

– لا مسئولية على أمام اولادى .. لقد ورثت عن جدهم
خمسة أفدنة ولو كنت بعثها لكان هذا من حقى ولكنى لم أبعها
وزدت عليها ..

– اسمع من غير كثرة كلام . تأخذ الورقة أو تأخذ الفلوس ؟
– هات الورقة ..

وهكذا لم يكن وهدان فى شرائه للأرض مسعورا ولا كان
نهازة فرس . ومادمتنا قد روينا قصته مع سليمان فمن حق القصة
أن نكملها . فقد سدد سليمان دينه وعمل فى التجارة وكسب فى
العام التالى كسبا يمكنه من سداد دين وهدان ولكنه لم يفعل وإنما
قصد الى وهدان ..

– لقد عملت فى معروفا مازالت الجهة تتحاكى به .
– يتهاى لك ..

– اسمع .. أنا كسبت هذا العام ولكننى مع ذلك لا أستطيع
أن أرد اليك دينك ومن عمل معروفا فعليه أن يتمه فهل أنت على
استعداد أن تتم معروفك ؟ ..

– اتمه ان شاء الله ..

– تترك فلوسك للعام القادم ..

– امرك ..

وانصرف وهدان ودار العام فى غمضة عين وان كانت أيامه
كانت تمر ثقيلة أثقل من الأيام العادية فقد كان سباعى كلما خلا
بأبيه يقول له :

– لو كنت يا أبا اشتريت أرض سليمان لكان محصولها يكفي
لشراء نصفها على الأقل هذا العام .

ويصيح الأب في حزم أبا هذا الزمن :

– اخرس يا ولد ..

ويضطر الولد أن يخرس ثم ما يلبث أن يكرر جملة تلك
كلما امتد حديث إلى محصول أو أرض أو شراء أو بيع ..

وكان الأب يحس حسرة أن ابنه يلومه ولم تكن الحسرة وليدة
اللوم وإنما كان باعثها أن ابنه سباعى على غير خلقه وأنه لا يعرف
معنى إلا يفتنهز انسان ضائقة انسان أخيه ولا يعف عند مقدرة ولا
يتعالى عن خلق الذئاب .

وكانت نبوية تهون عليه ما يتداوله من ألم لما جبل عليه ابنه
البكر . فكان يقول لنبوية :

– اخاف عليكم منه بعدى يا نبوية ..

– لا عشنا بعدك يا وهدان .. لا عشنا بعدك ..

– انه بلا قلب ..

– ابنك لا يمكن أن يكون بلا قلب ..

– اتصديقين ان الأبناء يرثون أخلاق آبائهم فيما يرثون
هيات ليست الأصلاب ولا الأرحام أمينة باتما .. والذي لا يقدر
ما صنعتة مع سليمان شخص يخشى منه يا نبوية ..

— اسمع يا وهدان علينا أن نحمل همهم ونحن أحياء أما من
بعدنا فعلى كل منهم أن يحمل هم نفسه ..

مر العام اذن وكان أثقل الأيام مرورا ثم جاء سليمان الى
وهدان وكان ولداه جالسين معه ..

— السلام عليكم ..

— وعليكم السلام ..

— كل عام وأنت بخير ..

— وكل عام وأنت بخير يا سليمان ..

— قم يا عم هات الورقة التي عندك ..

— أمرك ..

وعاد وهدان بالورقة وأعطاهما لسليمان ..

— خذ يا عم .. ربنا يزيدك ..

— وأنت خذ هذه ..

— ماذا؟ ..

— لقد تعلمنا القراءة معا في الكتاب اقرأ ..

وقرا وهدان فوجد بالورقة عقد شراء باسمه لعمشة أفدنة
ملاصقة لأرضه ، وانتفض في جلسته ..

— وهل أنا مرابي يا سليمان؟ ..

— لهدنا واسمع ..

— هدات ..

— فلوسك كانت جاهزة معى من السنة الماضية ولكنى
احببت ان اورد جميلك قلت اتاجر لك بها فان كسبت فالمكسب لك وان
خسرت اردها اليك دون ان تعلم ، وقد كسبت وجاءنى جارك نجيب
الجلطة يريد ان يبيع ارضه لأن ابنه الذى أصبح مهندسا يريد ان
يبنى بها عمارة فى مصر .. وانظر الى الثمن تجده عادلا لا ظلم
فيه .. استخرت الله واشترت الأرض باسمك .

وانتصب سباعى واقفا وأهوى على يد سليمان يريد ان يقبلها
والت بوهدان غصة أوشكت ان تضيق عليه فرحته بما صنع صديقه
.. ما سباعى هذا .. لا عفه عند مقدرة ولا كرامة عند فرحة ..
حسبى الله ونعم الوكيل ..

حسبى الله ونعم الوكيل ..

★ ★ ★

في هذه السنوات البلهاء من حياة مصر كان يثبت في بعض المناطق مجرم يثير الذعر حوله ينتمى هذا المجرم الى وجيه من وجهاء المنطقة بعقد شيطاني غير مكتوب ان يحمى الوجيه المجرم من الحكومة ويحمى المجرم املك الوجيه من المجرمين الاخرين وشأن كل العقود الشيطانية يتجاوز مفعول العقد حدوده ويتعبر الوجيه على المجرم تسترا لو حاسبه عليه قانون العقوبات لأصدر عليه احكاما قاسية وفي مقابل ذلك يصبح المجرم أداة بطش وعدوان للوجيه يخيف به كل المقيمين حوله مجرمين كانوا او غير مجرمين . وما هو الا يسير زمن حتى تصبح اعمال الوجيه بواسطة مجرمه كلها اعتداء على حقوق الاخرين لأن سمعته وحسدها كافية ان تنزود عنه أي مجرم يفكر ان يمس حقوقه ويصبح الريف غابة، السيادة فيها لمن لا ضمير له . وهذا نوع من الغابات فريد : فغاية الحيوان غابة تجمع مخلوقات بغير عقول ومن لا عقل له لا ضمير له فمن الطبيعي ان يكون الحكم فيها للأقوى ومن الطبيعي أيضا ان تكون الوحشية هي الدستور فبغيرها لن تطعم الحيوانات ولن تجد ماكلها وهذا في ذاته سبب كاف ان تستعمل قوتها لتعيش .

أما غاية الإنسان فهي بميدة عن ذلك كل البعد فإذا كان الحيوان قد حرمه الله حق الاختيار فإنه سبحانه قد فرض على الإنسان هذا الحق بما وهبه من نعمة العقل ومن نعمة الرحمة ومن نعمة المشاعر الرقيقة ، وكان طبيعيا مادام العدل المطلق قد وهب للإنسان كل هذه الحقوق أن يفرض عليه واجب الأمانة التي عرضها على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان . . . وهو سبحانه حين حمّله هذه الأمانة الثقيلة فرضها عليه حين اختار هو أن يقبلها فحين خلق الله آدم طلب إليه ألا يمس شجرة من الجنة . . . وما شجرة في جنة عرضها السماوات والأرض . . . فحين عصى آدم ربه اختار أن يحمل الأمانة . . . إن الإنسان كان ظلوماً وهكذا ظل .

قليل من وجهاء الريف من كان يضع تحت حمايته مجرماً أو عدواً من المجرمين ففي كل منطقة قد تجد واحداً من هؤلاء الوجهاء غير الوجهاء في الدنيا أو في الآخرة وغالباً ما تكون المناطق نقية عنهم كل النقاء تسمع عنهم في الجهات المجاورة ولكنها لا تعرفهم ولا تشتبه أن تعرفهم . بل إن الجميع يدعو الله أن يبعدهم عنهم ويعمى عيونهم عن بلادهم وأماكنهم وأرواحهم . فهم يعرفون عنهم كل شيء معرفة يقين . ويعرفون أنهم متوخشون يستأجرهم سادتهم لقتل من يجرؤ أن يناقشهم في أمر أو يتوانى في تنفيذ إشارة أصبح تصدر عن ذلك الوجيه غير الوجيه .

وكانت بلدة الصالحة متطهرة من هذا الوباء وكانت كل صلتهم به ما يسمعونه عن أبو سريع الفرحان ذلك المجرم الدموي الذي يأوى بمصائبته إلى ظل عز الدين بك الخولي عضو مجلس النواب عن الدائرة التي تتبعها الصالحة . وكانت الصالحة ترد

عن نفسها العدوان بأن تعطى أصواتها لعز الدين متظاهرة بالطواعية حتى لا يكون هناك أي حبر أن يقترب منها أبو صريع .
والبلدة لم تكن متحمسة لمرشح آخر فهي لا تجسد بأما أن تنتخب حامى المجرمين هذا مرتئية أن فيما تفعله كياسة لا تضيرها .

وفى يوم كان وهدان جالسا الى أسرته جميعا اما الأم فقد كانت تصلى وكان وهدان يقرأ القرآن وكانت فاطمة تقرأ فى كتاب اشتراه لها اخوها خليل وعابده تنظر الى الجميع وترى فى وجوههم القلق الشديد الذى يحاول كل منهم أن يخفيه بشتى وسائل حتى لا يثير بقلقه قلق الآخرين . ولم يكن عجيبا أن يتولاهم هذا القلق . فخليل هو أمهم أن يصبح لهم شأن فى حياة العلم بعد أن ترك سباعى المدرسة وهو بعد طفل فى العاشرة فلم يتعلم منها الا قراءة وكتابة توشك أن تكون عاجزة . أما خليل فقد مضى فى التعليم مضيا موفقا وكان متقدما فى دراسته دائما . وهم اليوم ينتظرون نتيجة التوجيهية التى حملت اسمها هذا لأنها تعطى لجائزها الحق أن يتوجه فى التعليم الجامعى الى الكليسة التى يختارها فهي نهاية التعليم العام أو هى بلغة وزارة المعارف نهاية التعليم الثانوى .

كان الأب والأم والابنتان جميعا فى هذا القلق الذى تشعر به عابده وتراه على وجوههم . وكان سباعى كئيبا عن قلق الأسرة وعن اجتماعها هذا بل هو حتى لم يكن يدري أن نتيجة شهادة التوجيهية ستظهر فى هذا اليوم فهو دائما فى شأن يظن أنه يخفيه وهو دائما بعيد عن أسرته ومشاعرها بما يشغل به نفسه من شواغل منها الأرض والمحمول ومنها غير ذلك .

كان في يومه هذا يلبي دعوة على الغداء دعاه اليها شعبان الخولي بن عز الدين الخولي الذي تعرف به منذ قريب في مقهى بالمركز . وأراد شعبان أن يظهر ابن همدان على القصر الذي ابتناه ابوه بقريتهم العدو وأراد أيضا أن تصل بينه وبين ابن الرجل الذي يعتبر أغنى من في الصالحة أسرة همدان فقد كان شعبان أيضا ممن نكصوا عن التعليم شأن سباعي . وكما يلتقى الفلاح بالفلاح فيتناجيان ويتعارفان ويجدان شيئا دائما يقولانه يلتقى الغريبان فيتناجيان ويتعارفان ويجدان شيئا يقولانه فيصبحان صديقين . ولكن لا بد لنا أن نكون منصفين فإن يكن شعبان وسباعي قد فشلا في المضي قدما على درج التعليم فقد كان كل منهما فلاحا من الطبقة الاولى يعرف ما تحتاجه الأرض ويقدمه لها في كرم ومهارة وحنق واثقين ان الأرض خير شيء يرد ما يأخذ اضعافا مضاعفة . وقد كان همدان يجيد في قدرة سباعي الفائقة على رعاية شئون الأرض ما يعزیه عما جبل عليه من خلق لا يرضيه . ولكنه شأن الناس أجمعين كان يتلمس لطف الله فيما يصاب به وقد وجد لطفه سبحانه في براعة سباعي الزراعية وراح يقول لنفسه ربما أراد سبحانه أن يجعل منه حارسا على الأرض يرعاها من بعدى لأخوته عنى . وأن كانت غصة تلوى عزاءه بعض الشيء . . . اتراه سيحرسها أم سينهشها . الله وحده يتولى عباده بما يرضاه .

كان سباعي اذن يلبي دعوة شعبان وقبل ان ياتى الغداء جلس الضيفان في غرفة الاستقبال الواسعة الأرجاء وقال سباعي :

— ما سمعنا عن سعادة البك والدك ولا عن سعادتك الا كل

كرم .

- أرايت بخلا ؟
- نعم رايت
- ولكن الأكل لم يظهر بعد
- قطعة جهنم تنبىء عن الكرم فى كثير من الأحيان •
- فماذا تقصد ؟
- انتغدى وحدنا 19
- اه •• انا أردت الا يشاركنا احد الحديث •
- وهل يحلو الحديث الا باللعة •
- ومن تريد •
- اين أبو سريع •
- والله هو هنا اليوم •
- فلماذا لم تدعه معنا •
- ادعوه ان بيته قريب •
- لا بد ان يكون بيته قريبا •
- وضحك شعبان وقال سباعى :
- ادعه يا شعبان بك وادع رجاله واللعة الهنية تكفى مية •

وجاء أبو سريخ وعرف أن الذي دعاه هو سباعي وحمد
هذا له فما كان يتناول طعامه على مائدة عز الدين بك إلا عندما
يكون هناك أمر جليل يريد أن يكلفه به أما شمعيان فما كان يهتم
بدعوته مكتفيا بأن يعطيه من حين لآخر بعض المال .

حين عاد سباعي إلى البيت وجد الكثيرين أمام بابه ووجد
الدوار مبتسما فرحا . وعجب . . انه هو فرحان نعم أن تغدى مع
شمعيان وأبو سريخ ورجال أبو سريخ ولكن ما هذا الفرح في
بيتهم . وعرف أن أخاه حصل على التوجيهية والمجيب أو ربما
ليس عجيبا أن يشعر بالفرح . فخليل بهذا قد أصبح من أهل الكتب
وليس لهؤلاء صبر على الفلاحة . لقد تأكد في لحظة علمه أن أخاه
ذاهب إلى الجامعة وإلى كلية الطب . . أن أرض أبيه أصبحت
له وحده من بعده .

وعجب الأب من فرحة سباعي وربما خامر ذهنه ما اختلط
بنفس سباعي فقد علمته الحياة أن يصل من النفوس إلى أبعد
أعمالها . ولكنه بمشاعر الأب الذي يمتزج حب الأبناء مع الدماء
فيها تفي أن يبلغ الجشع بأبنة البكر هذا الذي . . وأبي إلا أن
يسعد في يومه هذا منعادة لا يقف بها عارض من أي مكان سواء
كان هذا العارض من داخل النفوس أو من خارجها .

حين عرفت وهندان من سباعي انة دعا شعبان وأبو سريح
ومجرميه الى الغداء بالببيت غضب كل النضب .

— هذا بيت عاش طاهرا . واحب ان يظل طاهرا .

وكان سباعي في دهشة من امر ابيه فقد كان يظن انه سيفرح
غاية الفرح ان ابن عز الدين يك قبل الغداء عنده .

— يا ابا انة بن عز الدين بك .

وازداد ذهول سباعي وابوه يقول له :

— طظ . . . وما عز الدين بك بتاعك هذا . . .

— يا ابا عز الدين بك كبير الناحية .

— بالاجرام والقتل والاعتداء على حرمان الله والناس .

— رجل عتره .

– عند من لا يخافون الله أمثالك • انما في الحقيقة هو ليس
رجلا اصلا ••

– ليس رجلا ••

– الرجل هو الذي يثيق الحياة الى الآخرة بطاعة الله
لا بعصيانه وبإحياء البشر لا بقتلهم ومن قتل انسانا واحدا فهو
عند الله كمن قتل الناس جميعا •

– انظر يا ابي الى الثروة التي كونها •

– بسيطة •

– مائتا فدان من لا شيء بسيطة

– والف والفان بسيطة مادامت وسيلته القاء الذعر في قلوب
الناس والاستيلاء على حقوقهم بالباطل •

– على كل حال يا ابا انا لم ادعه •

– دعوت ابنه ودعوت المجرمين الذين يعملون لحسابه

– اريد ان يكون لنا قيمة في البلدة وفي الناحية

– فشرت انت وضيوفك جميعا •• ان قيمتنا في قلوب الناس
اعظم منهم الف مرة

– يا ابا انه نائب الدائرة

– بالرعب والقهر وليس بالاختيار ، ولو ملك الناس امر
انفسهم دون خوف لأختاروا أى شخص يمثلهم فيكون تمثيله لهم
خرفا وقيمة •• يختارون متعلما أو يختارون شريفا لا لصا ولا
قاتلا •••

... فما لِحترام الناس هذا

... الا تعرفه وتعرف من أين يصدر من نفوسهم

... انهم يهابونه

... انهم يخافونه . وانهم لا يحترمونه . انما الاحترام هو ذلك الذى تنطوى عليه نفوسهم بحريتها المطلقة وليس بما يخشونه منه اذا هم حجّبوا عنه احترامهم . ان اخاك خليل محترم بعلمه فى بلدتنا اكثر من عز الدين هذا الذى تتشرف بمعرفة ابنه وبدعوته الى الغداء عندك

... خليل اخى . لا يا ابا شرع الله عند غيرك

... بل هذا هو شرع الله والناس اما شرعك انت فشرع الشيطان

المسعود من بنى آدم .

... والآن ماذا ترى

... وهل تركت لى رأيا . . . لقد دعوت فعلا ولا أحب ان اجعل

منك طفلا امام الناس

... مصيبة سوداء لو عرف عز الدين بك رأيك فيه

... او يشرفك هذا . . . نعم فعلا مصيبة سوداء . . . ومعرفته

مصيبة سوداء ايضا ولهذا كنت ارجو ان انضى الايام الباقية لى

لا اعرفه ولا يعرفنى

... الحق على يا ابا

— حين أموت أخاف أن يكون عز الدين وامثاله هم مثلك

الأعلى

وأوشك سباعى أن يهتف : يا ليت ، ولكنه كتمها وسأل أباه :

— اتحضر معنا الغداء يا أبا

— وأنا ما شائى

— أنه بيتك

— بل بيتك ما دمت دعوت فيه فأنت تعرف أنه بيتك وإن لك
هذا الحق لا أنازعك فيه وإنما أغضبني اختيارك لدعويك . ولكن
الأمر ش . . .

حين استقر المقام بشعبان ورجال أبيه فى الدوار أصبح
الدوار فجأة خلية نحل وراح كل من يعمل فى البيت يعد العدة
للغداء . وتسامع أهل القرية جميعا بهذه الدعوة فتولاهم نحو
سسباعى ذلك الشعور العجيب الذى يجمع بين الخوف والرهيبة
والاحترام المرتعد . ولم يحاولوا أن يضعوا الحدود الفاصلة بين
هذا النوع من الاحترام وبين ما يكونه لوهدان من احترام فيه
حب وفيه تقارب ومودة . . لقد تعودوا أن يكتموا ما يعتمل فى
نفوسهم نحو عز الدين ومجرميه ، وأصبحت هذه العادة منهم
طبيعة لا تناقش ولا يحل مداها انسان ولا يحاول أحد أن يتتبع
جنورها . هم فقط أحسوا أن سباعى أصبح شخصا مهما لأنه دعا
ابن عز الدين وأبو سريع ورجال أبو سريع وقبلوا الدعوة .

تناولوا القداء وضممتهم حجرة الاستقبال في الدوار مرة
أخرى وقد كان الدوار شأن أمثاله في بيوت الأعيان بعيدا عن الدار
موصولا بها في وقت مما . فهو جلسة الرجال وليس له بمسرح
البيت وحريمه صلة إلا أن يأتيهم منه الطعام والمشرب ثم لا اتصال .

قال شعيبان وقد انتفض على الكعبة مزهوا بمكانة أبيه :

— مبسوط يا سباعي

— رضا والحمد لله

— الحمد لله على كل حال ولكن لماذا الرضا

— يا سلام أتكون مشرفا عندي أنت وهؤلاء الرجال السباع

ولا يكون الحال رضا ..

وضحك الجميع .

وقال أبو سريع معلقا على السباع :

— يا سباعي

وعلا الضحك مرة أخرى . أما رجال أبو سريع فلأنهم لا يد

لهم أن يضحكوا مادام أبو سريع يضحك . وأما شعيبان وسباعي

فليفيهما أبو سريع أنهما فطنا إلى قفشته وتلاعبه بالسباع وسباعي

وسرعة خاطره أيضا . ولكن شعيبان يقول مواصلا حديثه :

— يا حبيبي أنا أسألك هل أنت مبسوط في حياتك

— وهي أيضا رضا والحمد لله

— لماذا

– وماذا تريد أحسن من هذا أكل شارب نايم أشوف أرضي
أبي وانتج منها أحسن محصول ماذا تريد أحسن من هذا

– وهل هذه عيشة

– وما العيشة ؟

– تعال معي الى مصر وأنا أعرفك العيشة على حقيقتها

– يا سلام !

– رحلت مصر ؟

– طبعاً

– أين ذهبت ؟

– زرت المشايخ وزرت أقاربنا هناك وأصدقاءنا ودخلت
السينما ورحت الى المسارح وشفقت كل حاجة في مصر

– دخلت كباريه ؟

– كبا ٠٠٠ وماذا ؟

– كباريه

– آه ٠٠ لا ٠٠ سمعت عنه فقط

– سمعت عن ماذا ؟

– يقولون عن الاوبرج وشيء آخر اسمه الاريزونا

– يقولون

– سمعت

– ولم تر ١٩

– الكذب خيبة ٠٠ لا لم أر

– فانت لم تر مصر

– اهذه هي مصر

– عندي أنا ٠٠ أنا يا بني حين اذهب الى مصر لا شأن لي
لا باقارب ولا بغيره ٠ كم صاحب اعرفهم اصل الى بيتنا هناك
وانور عليهم بالتليقون وعينك ما تشوف الا النور ٠

– واين هذا النور

– في الاوبرج

– اتذهب الى الاوبرج

– ولا احب غيره ٠٠ جريت كل كباريات مصر ٠ لم يعمل.
عيني الا الأوبرج ٠ الملك يذهب الى هناك

– شففته ؟

– مرة

– واحدة ؟

– كفاية

... ما فعله -

... سمين وضخم .. انما الحق له هيبة

... ملك .. ملك يا عم ملك .. الامور عندنا يهز الصهريه شف
ملك ماذا يفعل

... ليس هذا هو المهم

... الملك ليس مهما !!

... هناك ليس مهما بالمره . المهم اشياء اخرى

... مثل ماذا

... اسمع يا عم لنا رجل يحب العمل ولا يحب الكلا

... ولكننا الآن لا نملك الا الكلام

... فشر ونملك العمل ايضا

... كيف

... انا مسافر الضميس القادم .. تجيء معي ؟

... اجيء

... صحيح ؟!

... وعمل الاقى فرصة احسن من هذه

... اتقنا

... اتقنا

حوت غرفة الاستقبال فى المساء قوما آخرين فقد تصدرا
وهذان كشانه كل ليلة والتمام حوله اصدقاء جلسته يكادون لايتغيرون
فى ليلة عن الأخرى فأغلبهم تعود هذه الجلسة والحديث بينهم
متصل منذ سنوات وفى أيام أم كلثوم يعدون العسة لسماعها فى
رأديو وهذان وقد كان الاستماع الى الراديو لمدة طويلة يحتاج ان
يذهب احدهم بحماره الى المركز فى اليوم السابق لبعلا البطارية
الضخمة فهى بطارية سيارة ويعود بها فى اليوم القالى ، ولم تكن
أم كلثوم تغنى فى هذه الليلة وانما هو الحديث . . حديث فى كل
شء . واحيانا كان يلطم بالجلسة اصدقاء غير منتظمين اما ان
يكونوا اصحاب مصلحة يريدون قضاءها مع وهذان او مع أحد
جلمبائه او يكون قدومهم لمجرد السمر والحديث . وفى هذه الليلة
جاء الى الجلسة عبد الحميد ابو ديدى الذى توقف عن العمل
كخياط للقرية تاركا الصنعة لابنه بعد ان اوهنه الكبر . واصبح
لا يخرج من البيت الا فى القليل النادر وكانت تنعقد فى بيته هو
ايضا جلسة مثل جلسة وهذان هذه . فلم يكن غربيا ان يكون المامه
بدوار وهذان نادرا وقد اوسعه وهذان ترحيبا . وقد حرص سباعى
ان يحضر الجلسة ليرى نفسه موضع الاكبار والتقدير بعد دعوة
الغداء التى عرفت القرية جميعا بشأنها . وما هذا بعجيب فان اى
دعوة فى القرية هى حديث القرية جميعا . ولكن مجيء شعبان
ورجاله امر يعرف سباعى انه هز القرية كلها من الأعماق . وتها
سباعى لسماع كلمات التقدير على دعوته تلك . وقد رأى فعلا
نظرات الاحترام ماثلة فى اعين معظم اهل الندوة وحين بدأ الحديث
بدأ بطبيعة الحال عن مجيء شعبان وابو سريع فاذا وهذان يقول
فى هدوء وفى حسم :

... اذا تكلمتم فى شأن هذه الدعوة فاسبحوا لى ان انصرف .

وانقمع الحديث عنها تماما واحسن سباعي لذعة اسف انه لم
يتمتع بما كان يهفو الى التمتع به . والتوى الكلام الى غير هذا مما
تعبدوا ان يأخذوا فيه . وما هي الا بعض الساعة حتى استاذن
عبد الحميد ابو بيده وقال وهدان :

- لماذا يا عم عبد الحميد . لم نشبع منك يا رجل

- عمك كبير يا وهدان . . . انا حتى في داري اترك ضيوفي
كل ليلة يكملون حديثهم واقوم انا ويعذرونني يا ابني . . . كبرنا
يا وهدان

- انت الخير والبركة . اوصل عمك عبد الحميد الى بيته يا
سباعي

ويقول عبد الحميد في صوت من يرغب في هذا التكريم الذي
تعود عليه والذي جاء في هذه المرة املا ان يحدث

- وما لزوم القمب

- تعبك راحة يا عم عبد الحميد

ويصيح سباعي . راجيا ان يسمع من عبد الحميد ما فوته ابوه
عليه من تكريم

- تحت امرك يا عم عبد الحميد

وما يكاد الطريق يخلو بالاثنين حتى يقول عبد الحميد :

لقد جئت اليوم خصيصا من اجل خلوتنا هذه

- خيرا يا عم عبد الحميد

- أنت دعوت اليوم شعبان

- حصل

- أخطب أخته

- ماذا ؟!

- ما سمعت

- وهل هذا معقول يا عم عبد الحميد • بنت البك تقبلني أنا !

- وأنت ما عيبك ؟!

- على الأقل يقولون لم يتعلم

- وهل تعلم أبوها أو أخوها أو تعلمت هي لنما هما كلمتان

عرفت بهما كيف تفك الخط

- أنا والحمد لله مستور في القرية ولكن بالنسبة لعز الدين

بك أنا فقير

- ولا فقير ولا حاجة

- كيف •• وأين ما أملك مما يملكون • وإيجاراته من الاوقاف

وحدها تدر عليه دخلا قدر دخلنا مائة مرة أو قل مائتين

- اسمع ما أقول لك •• اخطب أخته

— ان رفضوني ستكون سبه

— لن يرفضوك

— وانت كيف عرفت

— هذا شأني

— فقط قل من أين عرفت

— من سنني الكبيرة ٠٠ من الزمن ٠٠ من الناس الذين
عرفتهم ٠٠ اسمع كلامي يا ولد ٠٠ انا في مكان جدك ومن سنه
أيضا

— اذا تمت هذه الزيجة يا عم عبد الحميد لا ادري كيف
اكافئك

— انت يا ولد تكافئني ٠٠ انت يا ولد ابن وهدان وأبو وهدان
عاش عمره كله على باب دكاني ، اتظن أنني جئت اليك لكي تكافئني
وماذا أصنع بمكافئك هل سأخذها معي الى الآخرة . ان اردت ان
تكافئني حقاً فاني أوصيك بأبني حسن فهو قليل الحيلة وأنا لم
أترك الا ثلاثة أفدنة دفعت فيها عيني وانكفائي على ماكينه الخياطة
عشرات السنين

— ربنا يطيل عمرك يا عم عبد الحميد وحسن في عيني
الاثنين

— يكفيني هذا . ارجع انت . سلام عليكم

★ ★ ★

لا يكون الحلم الا من تجارب الانسان ومن سابق خبرته
فالأحلام على هذائها وبعدها عن العقل تخاطب الناس على قدر
خبراتهم . هي قد تخلط هذه الخبرة وتقلب موازينها وتجعل اعاليها
اسافلها واسافلها اعاليها انما تظل بالنسبة للانسان الذي تعرض
له في حدود ما عرف من واقع الحياة ، ولذلك يستطيع المرء غالبا
ان يعبر عنها ويروى ما عرض له في احلامه اذا كان منتظما او
يعزوه الى خرف النوم او فقد انتظامه وتتابعه .

اما هذا الذى يراه سباعى فلم يخطر له على حلم ابدا
وما تصور ان تضم جنبات الحياة شيئا مثل هذا الذى يشاهده من
راقصات الاوبرج . عرايا صدورهن او عرايا جسومهن جميعا
الا موقعا او موقعين الغطاء فيهما اخبث من العسرى وما ان اتفاق
هونا من ذهوله حتى التفت الى شعبان :

- اهؤلاء نسوان

وانفجر شعبان في قهقهة عالية ليست غسرية ممن يحسويهم
هذا المكان وقال :

... طبعاً نسوان

وظل سباعي في بهره وهو يقول :

... مثل نسوان البلد عندنا

واستمرت القهقهة يختطف من شهيقها الاجابة

... ماذا ترى انت ؟

ويقول سباعي في جدية حاسمة لا اثر فيها لمزاج :

... النسوان عندنا خفراء

ويقول شعبان بعد ان هدات ضحكاته

... لعلك لم تراهن الا في مواطن الجد

ويقول سباعي في جديته لا يزال

... رأيتهن في كل المواطن .. خفراء .. خفراء في اكثر

المواطن خلاعة

... لعلك لم تحسن الاختيار

... وهل هي واحسدة .. انهن كثيرات عسفتن .. وكلهن

خفراء

... فما رأيك انك لم تر شيئاً بعد

– ما أرى يكفى ٠٠ يا رجل انا أتعجب من نفسى كيف لم
يغم على

– لا ٠٠ لجمد ٠٠ الليل مازال طويلاً أمامنا ٠٠

– وماذا سنعمل فيه أكثر من هذا

– هذا شأنى

– انا تحت أمرك ٠٠ عبدك وبين يديك

– اولا تشرب هذا الكأس

– وما له أشربه ٠٠ هه بسم الله الشافى المعافى

وهم أن يقلب الكأس جميعه فى فمه مرة واحدة ولكن شعبان
اسرع فامسك بيده

– لا ٠٠ انتظر ٠٠ ليس هكذا

– فكيف أذن

– رشفة رشفة ٠٠ اتريد أن تنقلب هنا فى الاوبرج

– أمرك

– حين ينتهى الكأس أو الكاسان ٠٠ وليس أكثر سترى ما
لم تره حتى الآن ٠٠

وانتهى سباعى من شرب الكاسين فى بطء الجاهل الذى لاخيرة
له وبدات للتناظر التى يراها تصل الى أعماق كيانه وتمساعت

الحميا الى مكان الشعور فيه فاذا هو يعيش حياة غير الحياة حتى
ليحسب انه لم يولد الا في هذه اللحظة وحين ادرك شعبان ما صار
اليه حال صديقه سألته :

— وما رأيك اذا قلت لك انك ستقضى الليلة مع واحدة من
اولئك الراقصات ..

وفي وقار متعجب سألته :
— وماذا اصنع معها

وحينئذ انفجر شعبان مرة اخرى في قهقهة عالية وراح يقف
ثم يقعد والقهقهة على حالها حتى اذا استطاع ان يلتقط انفاسه قال
لسباعى :

— كان يوم. هنا يوم عرفتك

اما اصحاب شعبان فكانا اثنين وقد اتخذ كلاهما موقف
المشاهد سعيدين غاية السعادة بهذا المخلوق الجديد على المكان
والجديد على هذه الحياة جميعا ولكنه عندما سأل شعبان سؤاله
الاخير هذا كانا اشد صبغبا من شعبان وسأله احدهما وكان شعبان
يدعوه كريم :

— ألم تقل انك عرفت نسوان كثيرات في البلد ..

وفي نفس النغمة الوقور المتعجبة قال سباعى :

— ياسى كريم افندى اسم الله على مقامك النسوان اللواتى
عرفتهن شىء والنسوة هنا شىء اخر بالمرء لم يرد صنغه على
مطلقا ولم يخطر لى على بال ان فى العالم نسوانا بهذا الشكل ..
بالتأكيد هؤلاء صنغ اخر من الناس لا اعرفه انا ولا ابى

وتتم الليلة كما ينبغي ان تتم مثل هذه الليالي ويحس سباعى انه بهذه الليلة اصبح من طبقة اخرى غير طبقة امله ولكن المجيب ان سباعى مع كل هذه المتعة التى تشعر بها والتي اوغلت فى العميق من كيانه كان يدرك ان مثل هذه الليالي انما هى لهو يتمتع بها من يحبها ليلة كل شهر او ليلتين ولكنها لا يمكن ان تكون حياة باكملها كما كان يعتبرها شعبان . كان الأمر بين الاثنين مختلفا كل الاختلاف فقد كان شعبان لا يريد من الحياة الا هذه الحياة . وكان عمله فى الأرض عمل مرغم لا راضب مبركا ان اياه سينضب عليه موارد المال اذا هو لم يقم بواجبه كفلاح يعينه على زراعة الأرض الواسعة بما يستاجر من الاوقاف . اما سباعى فقد كان يرى فى الزراعة حياته ويرى فى مثل هذه الليلة لهو .

كان من الطبيعى ان تتوطد العلاقة بين شعبان وسباعى وتكاثرت الزيارات بينهما . وفى يوم حزم سباعى أمره بعد ان فكر وأطال التفكير وتدبر الأمر مع نفسه فأحكم التدبير وقصد الى شعبان فى بيت ابيه .

— انا احببتك حبا لا تدري قدره

— هذه مقدمة لشيء تريد ان تقوله

— اى نعم

— قل

— اريد ان اكون قريبك وصاحبك

— فهمت

- وما رأيك —
- لا بد ان اتأكد من صحة فهمي اولا
- انت تفهمها وهي طائفة
- يكون احسن لو قعدت
- اخطب اليك الست اختك قدرية
- هل شفتها
- شفتك انت
- على كل حال اسأل ابي
- طبعاً
- ولكن لا بد ان تشوفها
- ومن غير شوف
- لا بد
- امرك ... كيف ؟
- هذا امر ميسور • والحقيقة انا افضل ان تشوفها قبل ان
أكلم ابي
- كيف ؟
- حتى يتكلم ابوك بعد ذلك وتجرى الأمور في طريقها الطبيعي

- ولكن معنى كلامك أنك لا ترفضني

- أنا لا أملك الرفض أو القبول

- اعرف ذلك ولكن معنى أن تسمح لي برؤية الست أختك أن
الامر ليس بعيد الاحتمال

وتنبه شعبان الى الموقف وسارع يقول :

- أنا لا أستطيع أن أقول شيئاً مطلقاً • وأنا أسمح لك برؤية
أختي لأنى أعتبرك أخاً • وأحب إذا فاتحت أبى فى هذا الموضوع
أن أكون واثقاً أنك جاد فيه • لأن التقدم منك ثم الرجوع مسألة قد
تسبب فيها ندام

- أنا اعرف تماماً وظيفة أبو سريع عندهم • ولا أحب أن أكون
أنا أو يكون أبى من بعض مهام وظيفته

- أذن تراها

- ياليت •• متى ؟

- الآن

- كيف ؟

- اسمع •• أخرج من الباب الأمامى قدام الخدم ولف وعد
لى من باب الشرفة ••

- أمرك ••

وخرج سباعى وعاد وفتح شعبان حجرة مجاورة وأدخله فيها:

— سأنادى قدريه وأنت تستطيع أن تراها من هنا وسأجعلها
تقعد بحيث لا تراك فحين تراها وتسمعها روح الى بيتك من هذا
الباب الذى يخرج من الشرفة الى الحديقة الى الخارج .

ورجم سباعى قليلا وقال :

— وكيف سأقول لك انى وافقت ؟

— قلها بكرة . لا أريد أن اعرف رأيك اليوم على كل حال .

— أمرك .

ودخل سباعى الحجرة وأبقى شعبان بابها نصف مفتوح حتى
إذا رآته قدريه حسبت أنه نصف مقفل وأنه ترك هكذا عن اهمال
لا عن عمد .

ونادى شعبان من بهو البيت الأسفل :

— قدريه . . . قدريه . . .

— نعم يا شعبان فيه حاجة ؟

وأطلت عليه من أعلى فقال :

— ماذا تصنعين ؟

— لا شيء . . . اسمع الفونوغراف . . .

— أنا زهقان . . . لماذا لا تحضرين الكوتشينة وتجيئين لتسلى؟

— حاضر ٠٠ جاية ٠٠

وجاءت وراها سباعى وفهم كل شىء ٠٠

★ ★ ★

هى الشتيض الكامل للنسوة اللواتى خيلن عقله بجمالهن فى الكباريه هى الطرف الآخر من جمال الخليقة ٠٠ اذا كان سبحانه قد خلق النسوة الجميلات ليرى عباده بديع صنعه فهو سبحانه جلت قدرته قد خلقها ليعرف عباده شديد سخطه ٠٠ اذا كان هناك من لا يصدق انه سبحانه قادر على خلق الجنة والجحيم فليضع قدرية الى جانب اى جميلة من جميلات اى مكان سواء كان هذا المكان هو الأوبرج او حتى قرية الصالحة ٠٠ وحينئذ ستمثل له فى الفتاة الطبيعية الجنة كل الجنة وفى قدرية الجحيم غاية الجحيم . سبحانه انه على كل شىء قدير ٠٠

لهذا قال له عبد الحميد ابو ديدة أخطبها ولهذا لم يرفض شعبان فكرة زواجه بها رفضا قاطعا من اول وهلة وان كان قد دهش من رد الفعل الذى استقبل به شعبان طلبه ، وان كان قد نهل لأن شعبان جعل الأمر قابلا للانعام وان كان قد ازداد ذهوله حين وجده يسارع الى اتاحة الفرصة له أن يرى اخته ، فان الدهشة والذهول الآن لا مكان لهما فهو بالنسبة الى الحالة التى رآها فرصة لا تعوض لعز الدين بك ٠٠ فلا شك أن اباهما وامها واخاها لم يكونوا يأملون ان تتزوج اكثر من عامل زراعة فى املاكهم ويكون العامل مظلوما .

كيف استطاع فمها ان يكون بهذه السعة وكيف استطاع انفها ان ينفرش لينال من وجنتيها — اذا كان لها وجنتان — كل هذه

المساحة .. وكيف استطاع هذا الوجه المسحوب كعلامة تعجب أن يسع كل هذا الفم وكل هذا الأنف .. وهي تغطي شعرها بمسنديل ولكنه شعر متمرد صاخب يرفض المنديل ويقذف به إلى أعلى ليجعل منه طرطورا . وكل هذا يهون إذا تركز البصر من الناظر على ذقنها انه مقنوف إلى أعلى يوشك أن يفلق الفم وربما كان هذا هو السبب في نحافتها المفرطة .. فلا شك أن فيها يجد مشقة عاتية في أن يلقف اللقعات ..

لقد وعى سباعي قبح الفتاة وعيا كاملا ولكن العجيب في أمره أنه ازداد اصرارا على الزواج بها فقد أدرك لحظة رآها أن الزواج بينهما متكافئ بل إن أسرتها هي الكاسية فيه لأنهم لا يعرفون ما يفكر فيه هو .. الزواج متكافئ لا شك .. هي قبيحة كل القبيح وهو فقير بعض الفقر .. فهو مقبل إذن على الزواج في عزم واصرار ازدادا ولم ينقصا .. وهو في أقباله هذا غير مرغم ولا مضطر فانه يستطيع إذا لم يكن يريد للزواج أن يتم أن يذهب من غده إلى شعبان ويحدثه في حديث آخر غير هذا وسيفهم شعبان وسيعذره .. فهو مصمم .. وهو مصمم أيضا أن يكلم شعبان أباه حتى يكون وهدان مضطرا لاتمام الزواج ، وقد كان سباعي مقبرا لهذا الأمر منذ دبر أمره قبل أن يفتح شعبان في شأن الخطبة . فهو يعلم حرص أبيه وهدان على أن تعيش أسرته بعيدة عن كل المشاكل فإذا هو امتنع عن اتمام الخطبة فالويل الآخذ والانتقام الويل ..

وقد كان سباعي واثقا انه حين يطلب من أبيه أن يخطب له ابنة عز الدين سيرفض رفضا قاطعا كما كان واثقا أنه سيقبل أن يخطبها له على رغم انه إذا أخبره أن شعبان فاتح أباه فعلا في الأمر وأنه قبل .. قدر سباعي هذا جميعا وأقدم على هذا للحديث مع شعبان ...

وفي الصباح الباكر كان سباعى وإفلسا بجانب شعبان فى
الغيظ :
- متى ترد على ؟

ونظر اليه شعبان مليا ثم قال :
- تعال الليلة فى البيت ..

انتظر سباعى حتى صبحا أبوه من القيلولة وتوضأ وهلى
صلاة العصر واستقرت به الجلسة على الأريكة وبجانبه نبوية ،
وكان وهدان منشرح الصدر فهو يقول تلك الجملة التى كثيرا
ما يريدها :

- لقد كان قطع ذراعى بركة .. تزوجت به نبوية بعد أن
تأكدت من قطعه .. أنها تحببى لشخصى وأعطانى الله من غسيل
ذراعين فى كل وضوء مكثفيا بذراع واحدة .

وضحكت نبوية وهى تقول :

- أما زلت تذكر زواجنا .. قد أن الأوان أن نفكر فى زواج
ابنائنا ..

وقال وهدان :

- ما أحب هذا الى ..

واندفع سباعى الذى كان يتريص بالحديث :

- صحيح ياأيا ؟ ..

- صحيح جدا ..

- إذن فأنا أريد أن تخطب لى ..

— من ٠٠٢٩ —

— فدرية بنت عز الدين بكه الخولى ٠٠

وهب الأب واقفا :

— من ٠٠٢٩ —

وبقت نبوية سدرها وهى تقول :

— من ٠٠٢٩ —

وقال سباعى :

— ماذا يا أيا ٠٠ ماذا يالعه ٠٠

والجمت للصدمة لسان وهدان ونهلت الأم بعض الحين ثم

قالت :

— ولكن يا ابنى ٠٠ هل ٠٠ هل يقبلون ؟ ٠٠

وابتسم سباعى وهو يقول :

— لقد قبلوا فعلا ٠٠

وصاح الأب مرة اخرى وهو ما يزال واقفا :

— ماذا ٠٠؟

وقالت الأم :

— قبلوا ٠٠ افن ٠٠

ومات الكلام على شفقتها وارتمى وهدان جالسا على الأريكة

معتمدا برأسه على ذراعه الواحدة مفكرا فى كل ما فكر فيه ابنه

من قبل ٠٠ وتمت الخطبة وتم الزواج ٠

★ ★ ★

— ٧ —

أقام سباعى وزوجته فى بيت وهدان ٠٠ ولكن وهدان لم يكن يطيق أن يكون البيت مزارا لعز الدين وابنه شعبان ٠٠ وما كان يتصور أن أسرة كهذه تندمج مع أسرته ٠٠ وما كان يدور بخياله أن شعبان يمكن أن يدخل الى بيته فى أى وقت من أوقات اليوم وهجست نفسه أن شعبان ربما فكر فى الزواج من فاطمة أو عابدة وإذا مر هذا التفكير بذهن شعبان فهيهات لوهدان أن يرفض لأنه لم يكن يريد أن يموت مقتولا ٠٠ فهؤلاء نفر من الناس لا يقف بهم نسب أو قرابة أن يرتكبوا أى جرم ٠

سارع وهدان فابتنى بيتا لابنه سباعى ولم يشعر أن كارثة زواج ابنه من ابنة هذا المجرم قد خفت حدتها الا يوم انتقل هو وزوجته الكئيبة الى البيت الجديد ، ومهما يكن البيت قد كلفه فكل مال حين اذا قارنه بمصيبة زيارة واحدة من عز الدين او اطلالة من شعبان على اخته التى تسكن فى نفس البيت الذى يعيش فيه مع نبوية وابنتيه ٠

وكان التعليم قد انتشر في القرية انتشارا اتاح لفاطمة أن تجد شابا متخرجاً في كلية التجارة هو حسونة الزيني خطيبها بعد أن تم تعيينه بالصعيد مراجعاً لحسابات السكة الحديد بها . ولم يمر كثير من وقت حتى خطبت عابدة أيضاً الى ياسين ضيف خريج كلية دار العلوم والذي عين مدرسا بالقاهرة . وقد كان ياسين قبل أن يلتحق بكلية دار العلوم شيخا معمصا نال ثانوية الأزهر ثم التحق بكلية دار العلوم وكان الأب والأم سعيدين غاية السعادة بهاتين الزيجتين . . وكان كلاهما يحمد الله أن عوضهما عن زيجة سباعي .

والواقع أن قدرية لم تكن في اخلاقها على هذا القبح الذي طبعه الله على وجهها وإن كان بلوغ هذا القبح عسير المنال على أية حال . . إلا أن الفتاة كانت رضية الخلق تعامل حماها وحمايتها بكل أجلال واحترام . . وكان وهدان بحاسة العدل فيه ويمشاعر الأبوة يعلم أن قدرية لا ذنب لها فيما ركب عليه أبوها وإنها تزوجت برغبة منفردة من زوجها ويشعور بالسعادة من أييها واخيها أن وجدت انسانا أي انسان يقبل أن يتزوجها .

وهكذا كانت معاملة وهدان ونهىة لقدرية تتسم بالأبوة الكاملة وبالجنان الشفوق لا يفرقان بينها وبين ابنتيهما وكانت هي تقوم مع أختي زوجها بشئون البيت في يسر وتعممة . ولم يحدث في يوم أن اشتجر خلاف مهما يكن هينا بينها وبين أحد من أهل البيت جميعاً . . حتى الخادومات اللواتي استقبلنها في وجوم وأسى لقبحها وليس لأى ضيب آخر من أيضا سرعان ما أصبحت عندهن واحدة من أهل البيت لا تختلف معاملتهن لها عن معاملتهن للمست قاطمة والسنت عابدة . والخادومات في الريف يالفن بنات الأسر

التي يعملن بها حتى لتصبح الصلة بينهم صلة اقرب الى الأخوة
منها الى صلة سيد بمسود . فلم يكن غريبا ان تفرح قدريه
بخطبة فاطمة ثم عابدة كفرح البيت جميعا من سادة وخدم .

وقد يتساءل الشباب ما هذا الزواج الذي تم بغير حب سبقه
ولا لقاء ولا اتفاق بين العروسين ولو عرفوا الريف في هذه الأزمان
لعاموا أن الزيجات التي كانت تتم على حب في الأسرة المتوسطة
تكاد تنعدم . ففتيات هاته الأسر لم يكن يخرجن من بيوتهن منذ اليوم
الذي ينقطعن فيه عن التعليم بل ان الكثيرات منهن كن يتلقين
تعليمهن في البيت اذا كان الأب يريد لبناته أن يتعلمن . فالدائرة
التي تتسع لسجنهن ضيقة غاية الضيق ولكن تفاصيل حياة كل فتاة
ومدى جمالها أمر مشاع بين أبناء القرية جميعا . والخاطب حين
يتقدم الى الخطبة يكون عالما بكل اسرار الفتاة التي يتقدم لها ولكن
من غيرها وليس منها .

فاحاديث القرية عن القرية . وامهات هؤلاء الشبان يروين
لهم كل شيء عن كل فتاة أو سيدة أو حتى طفلة في القرية فينشأ الفتى
وأبناء القرية جميعا في كامل وعيه لا يغيب عن شباب من هؤلاء
الشباب خبر عن أي فتاة من فتيات قريته .

والأمر مختلف كل الاختلاف اذا كان الزواج من ابن فلاح
يعمل في الحقل وابنة فلاح آخر يعمل . فالفتيات في هذه الفئة يخرجن
كل يوم ليذهبن بالطعام الى آبائهن أو اخوتهن في الحقل وهن
يملأن الجرار وهن يشترين حاجات البيت في أيام الأسواق فاذا كان
الحب قد اندلع بين وهدان ونبوية حين كان الزمن مازال في غيبوبة
الجهل فهو مندلع أيضا والزمن قادم على نور العلم لان الفتيات

من مثيلات نبوية حين تزوجت مازلن كشافنا في الايام الخالية من
طقولاتها وحباها وبياكر شبابها .

ربما لو كان هناك شاب من اغرياء وهدان او نبوية يتردد
على البيت بصلة القرابة وشب حب بين هذا الشاب وبين واحدة من
الفتاتين كان الأمر قد تغير . وقد كانت الفتاتان جميلتين وكانت
كل منهما تمثل نوعا من الجمال الذي لا يختلف فيه اثنان وان كان
هناك مجال لاختلاف فانه سيكون تقدير مدى هذا الجمال . كانت
احدهما خمرية اللون ذات تقاطيع منسجمة لها انوثة جذابة وشعر
مناسب فيه رخاء وسيولة ولين وكانت الاخرى عابدة شديدة
البياض في خديها حمرة واهنة وفي عينيها سواد داكن يتوسط
بياضا ناصعا وفي شعرها عريضة حبيبة . كلتاها ممشوقة القوام
وكانت عابدة اطول من فاطمة قليلا ولكن لا يشتكى من فاطمة قصر
ولا يعاب على عابدة طول .

فالفتاتان كانتا جديرتين ان تحبا . ولكن لم يكن هناك حبيب
فالذين يرونهما من الرجال لا ترتقى آمالهن الى حبهن . وكلتاها
كانت تعلم انها ستجد الزوج اللائق بها فقد كانت كل منهما تعلم
انها جميلة وان اباهما ممن يالف الناس ويالفون وان امها قريبة الى
مشاعر الامهات في القرية لم تمد يدها لاحداهن بغير المعروف
والكرمة . كلتاها كانتا تجدان المتعة في كتاب من الكتب الكثيرة
التي كان يشتريها لهما خليل وفي الراديو ما وجدت البطارية وفي
الاسطوانات . وقد تزوجتا كلتاها وهما في مطالع الشباب فلم
تضيق حنهن نفس ولم تشعر واحدة منهما في حياتها برهبة المستقبل
ولم يهدد احدهما شبح من عنس .

وما هي الا سنوات قلائل حتى امتلأ البيت بابناء فاطمة
وعابدة ياتون جميعا الي بيت وهسدان في الاجازات والاعياد وكان
الجدان يشعزان بمجئتهما ان الحياة التي عاشاها كانت مثمرة
خصيبة ولم يشعر واحد منهما بالأسف ان سباعي لم ينجب وقد
استطالت سنوات زواجه . وكان سباعي في هذه السنوات تواقا
الي ابن وليس ابنة ليضمن وارثا لماله الذي هينول اليه من ابيه
والذي يتوى ان ينميه بكل الخطط التي كان يعسدها طوال حياته
وما سترته ايضا قدرية من ابيها وهو نصيب ان يكن نصف نصيب
شعبان الا انه يظل مع ذلك موفورا ولم يكن قبح زوجته بالنسبة
اليه يشكل اي اسف لزواجه منها . فقد سرعان ما تعود حتى
لم يعد يرى فيها ما راه في اول يوم دهمه فيه رؤياها . وهو ايضا
كثيرا ما يروح عن نفسه مع شعبان . ولم يكن شعبان يجد اي
غضاظة ان يصحب زوج أخته في لياليه الصاخبة بل لعله كان
يعتقد انه اذا لم يصحب شعبان فان شعبان سيجد وسيلة أخرى
يخفف بها وطأة أخته عليه وهي وطأة لا يطبق احتمالها الا ذو
قوة وايد .

وكان العسرب قد بدأوا يرودون ملامى شعبان وسباعي .
وكانوا حريصين ان يجدوا لانفسهم اصدقاء في القاهرة . وكان
شعبان يتمتع حيث يسمى بأنه ابن احد النواب وبانه ثرى وأحسن
امير عربى ان مثل هذا لن يطمع في ماله وانه يستطيع ان يتخذ
منه صديقا . فاتخذه صديقا وأصبح الأمير نمر من اقرب اصدقاء
شعبان أما سباعي فكانت الصلة بينه وبين الأمير صلة تعارف
لا تصل الي الصداقة . وكثيرا ما دعا شعبان الأمير الي شقته
بالقاهرة وكم سعد ابوه عز الدين حين دعا الأمير الي بيتهم في
القرية فاي مجد يناله وهو يصيح في خدبه . القهوة لسمو الأمير

يا ولد • الشاى لسمو الأمير يا ولد • انه لم يحلم بزيارة وزير
فكيف بامير • كان فخوراً عز الدين بابنه وبصداقته هذه للأمير
فخرا لم يعرفه حياته كلها •

ودعا الأمير شعبان أن يزوره فى بلده فلبى الدعوة وحده
طبعاً فالدعوة لم توجه الا اليه • وحين سافر شعبان لم يكن يفكر
الا فى رؤية هذه البلاد وحين استقر به المقام هناك ووجد الثراء
الفاخش الذى يعيش فيه الأمير انتهمز فرصة خلا فيها به وسأله
فى شبه مداعبة :

- اتقبلون فى اسرتكم غير الامراء •

وقال الأمير :

- يا اخى وما البأس كلنا ابناء آدم وكلنا مسلمون

- احقاً ما تقول يا سمو الأمير

- نعم هو الحق

- لك اخوات لم يتزوجن بعد ؟

- تسع اخوات تزوجت منهن اثنتان ••

- فاذا طلبت منك أن تزوجنى احدى السبع الباقيات

- أيهن ؟

- وهل اعرف •• انها اول مرة اعرف ان لك اخوات

- وكيف تريد أن تتزوج اذن

— بالأنابة

— الأنابة تكون فى زوجة معدومة

— اننى أوكلك عنى فى الاختيار أما المقصد فلا داعى فيه
للأنابة فانا حاضر بين يديك

— اتريد أن تتزوج فى هذه الزيارة

— واعدود الى أبى بالعروس

— وهل هذا محقول ؟

— وقيم نحتاج الى الزمن • أنا بيتى موجود فى البلدة وفى
ساعات اختار للأميرة أحسن شقة فى القاهرة والأميرة قطعا
لا تحتاج الى جهاز فقيم الانتظار ؟

— اسألها

— هل أخترت لى ؟

— قد أخترت

وتزوج شعبان من الاميرة العريية وعاد بها الى ابيه واقيم
الفرح فى القرية ثلاث ليال سويا • ولم تكن الاميرة على كل حال
فى قبج قدرية • وهو جين طلبها انما سعى الى لقبها وراثتها
وما سعى الى جمالها أو انوثتها • قدر انه لابد ان يتزوج وقدر
أن مثله لا يعرف للحب معنى الا هذا الذى يمارسه فى لياليه فى
القاهرة وعندما تنطفىء الأنوار تتساوى جميع النساء •

اشفق المرض بوهدان فقد داهمه الكبر فجأة وتوالت عليه
علائمه وأحس أنه يعيش الأيام الأخيرة من حياته . وكانت نتيجة
البكالوريوس على وشك الظهور فكان كل دعائه حين كان يصلح
وهو قائم من شدة الوهن أن يرى لا تضمني اليك حتى أعرف نتيجة
خليل . أريد أن أقول له يا دكتور مرة واحدة قبل موتي . ومن
العجيب أن قدرية كانت حاملا في هذه الفترة وكانت قاب قوسين
أو أدنى من الولادة ولم يدع وهدان ربه أن يرى سباعي قبل أن
يموت وإن كانت نبوية تدعو له دائما بطول العمر ثم تهمس وكأنها
تناجى الله في علياء سمائه وإن كان لا بد يا الله فافرحه بنجاح
الدكتور خليل وبخفيد من ابنه البكر .

وفي يوم أصبح خليل الدكتور خليل وقبيله أبوه وعيناه
تنهمران دموعا وراح ينظر إلى السماء وهو يقول الآن إذا شئت
يارب . . الآن ولك ألف شكر وألف حمد وأبت السماء إلا أن يأتيه
الخبر الآخر في نفس اليوم أن ابنه سباعي قد رزق بولد وكان
سباعي هو من سمى اليه بالنبا وقبل يده وماله :

... لن يختار له الاسم إلا أنت يا أبا . . أطال الله عمرك

وقال وهدان وهو يلتقط أنفاسه :

... ليكن اسمه صلاح وليكن صلاحا بأذن الله

وفي السماء فاضت روح وهدان وهومت في سماوات القرية
كلمات الآية الكريمة . . . يخرج الحي من الميت سبحانه . . .

الانتخابات في القرى موسم • حين تقلب يصبح الجميع مشغولا بها لا يصرفه شيء عنها • الا أن يكون موعد زراعة أو ري أو تسميد فان الأرض لا تعزف التأجيل والنبات لا شتان له بالانتخابات فهو لن يعطى صسوتا وهو أيضا لن ينال ما يناله أصحابه من مال أو من تسوية •

ولئن كان النفاق هو أعظم العملات تداولاً في الحياة جميعها فان موسمها الأكبر هو أيام الانتخابات • نفاق متبادل يقدمه المرشحون إلى الناخبين ويقدمه الناخبون إلى المرشحين مع ما يكرمونهم به عند زياراتهم • ويرى أحد المرشحين المشهورين أنه ذهب في يوم لزيارة بلدة من بلاد دائرته الانتخابية فلقية الأهالي على الأعناق واتجه الراكب إلى بيت العمدة ليكون أول بيت يزوره المرشح في القرية وكان التراب قد تصاعد إلى عيني المرشح حتى لم يعد يرى وهو بطبيعته ذو عيون كليله حساسة فهمس في أذن العمدة أنه يريد أن يغسل وجهه وسرعان ما أخذ الطريق له إلى الحمام وغسل وجهه ونشفه ووضع نظارته على عينيه • ووجد

بالحمام شيئا عجيبا ووجد لافتات في حجم اللافتات التي استقبلته
بها البلدة لا فارق هناك بينهما الا شيء واحد هو ان هذه اللافتات
تحمل اسم المرشح الآخر .

ولئن كانت الرشوة تستر وراء الكلمات في مألوف الحياة
وان كان المرتشي يقول دائما ان المال لغيره والراشي يتظاهر بأنه
يصدق فان الرشوة في اغلب الانتخابات تسفر عن وجهها سفورا
كاملا لا تتشح بساتر ولا تستخزي وراء الكلمات ولا تستحي أن
تصرح . فاذا لم يكن للبلدة كبير يرشي فقد تمثل الرشوة في تبرع
يقدمه المرشح لجامع يبني علم الله انه تبرع لن يكتب في الحسبات
ابدا . واذا كان كبير البلدة عفيف النفس وطلب الى المرشح الا
يقدم أى تبرع في اثناء الانتخابات سعى الصغار الى المرشح
يوسعونه مطالب واستجداءات حتى ليتمنى لو كان كبير البلدة
مرتشيا فطلبات الأفراد لا نهاية لها اما التبرع او رشوة الكبير
فرقم محدد وينتهي الامر . ولما كان المكر السوء يحيط باهله دائما
فالراشون هم في الاغلب الأعم هم الساقطون فان المرشح الواثق
بنفسه لا يقبل مساومة في فترة الانتخابات قط حتى لأعرف مرشحا
كلفه المطعم والمشرب واستقبال الناخبين مبلغا لا يتجاوز بضع مئات
ولكنه خشى ان يعرف أحد هذا فيظن انه انفق في الرشوة مالا فقال
لابنه وهو ينبئه بالحساب لا أحب ان يعرف أحد اننى انفقت هذا
المبلغ . وكان نجاح هذا المرشح ساحتا .

فالمرشح السياسي الخبير بالانتخابات يعلم ان الصوت الذي
يشتره لم يصبح له وانما يصبح سلعة في السوق . واذا كانت
السلعة يدفع مشتريها ثمنها ويتسلمها فان الصوت سلعة غير امينة
ولا مأمونة فهي تأخذ من كل المرشحين ثم لا تنتخب أحدا على
الاطلاق او قد تنتخب من لم يدفع لها شيئا .

ولكن حين يكون بين المرشحين مجرم مقل عز الدين الخولى
فان الأمر يختلف كل الاختلاف . فان اغلب البلاد لا تريد ان
تعرض لزيانيتها ومجرميه الذين يسلطهم على عباد الله فيفعلوا
بهم الافاعيل من حرق للزرع الى سرقة للبهائم الى قتل اذا احتاج
الأمر الى قتل . والبلاد فى الريف تخاف على زرعها وعلى بهائمها
وعلى ارواحها ولكنها لاتحب ان تعلن انها خائفة فهي تتظاهر بذكاء
لا يفتأ الا للفلاحين انها تنتخب المرشح المجرم عن حب وطواعيه
وليس عن خوف واذعان . وانها تختاره راغبة لا راغمة . والمجرم
أعمى البصيرة بطبيعة تكوينه ولم يكن كذلك لادرك ان مال
العالم وسلطانه أجمع لا يساوى دم انسان برىء واحد من الدماء
التي يريق . وبهذا العمى فى البصيرة يصدق انه محبوب من دائرته
وانها تنتخبه عن اقبال وحب . . وقد يسأل واحد من الذين لم
يعيشوا فى الريف . الا يسأل المجرم نفسه لماذا يحبه الآخرون وهو
قاتل سفاح يهدد مصادر رزقهم ويقض منهم المضاجع ويجعل
حياتهم رعباً وموتهم لعبة . نعم ان هذا السؤال قد يرد على ذهن
المجرم وهو واجد عند نفسه الجواب فهو يظن ان الفلاحين ماداموا
يطربون حين يسمعون حكايات أبو زيد الهلالي سلامة وعنتر
ابن شداد والزناتى خليفة ، وما دام بعضهم يروى لبعض حكايات
أدهم الشرقاوى ومن تبعه باجرام الى الخط فهم اذن يعجبون
بالرجل القوى الذى يصادر الحياة ويجعل من نفسه جلاداً لمن يقول
فى وجهه لا اله الا الله محمد رسول الله . وهو منطلق كما ترى
سخيف وساذج . اما الطرب من الفلاحين لحكايات الأبطال فهو
شعور بأن هؤلاء الذين تروى عنهم الاساطير قد واجهوا الظلم
بمثله ودافعوا الطغيان بالقوة والنفوس وهو ما كان الفلاحون
يتمنون ان يصنعوه مع امثال عز الدين الخولى . فعنتر وابو زيد

والزنتى واخرابهم هم ازالة الغضب الذى يقتل فى نفوس المغلوبين
على امرهم امام القوة الفاشحة المتمثلة فى اسلحة الطغاة
واعوانهم .

اما رواية الفلاحين لقصص الجرمين من معاصريهم فهى اتقاء
لشرهم وتظاهر بالاعجاب بهم عساهم ان يتأوا عنهم باجرامهم
واذاهم فالقلاخون اذن بما يروون انما يتقون شراً ولا يعجبون
بشرير الا ان يكونوا اطفالا يسمرون ما يلبثون مع الأيام ان يدركوا
الحقيقة وان يعملوا الذميمة والطيب والفساد والصلاح والأعوج
والقويم .

ولكن عز الدين الخولى وأمثاله لا يحبون هذا الحق وانما
يحبون ان يهينوا لأنفسهم انهم ابو زيد وعنتسر والزنتى وادهم
الشرقاوى والخط جميعا . . وانهم محبوبون .

ولهذا لم يكن عجيبا ان يزور عز الدين الخولى بلاد الدائرة
فى سيارة مكشوفة وخلفه صفوف من السيارات التى استأجرها
للانتخابات باسعار توشك ان تكون رمزية فأصحاب السيارات
اصحاب اولاد يخشون ان يخطفوا وأصحاب ارواح يخشون ان
تحرق . . فهم اذن يقسمون سياراتهم له بكل الحب وبالفاظهم
صائحين انها ملكه هى واصحابها مقسمين بالطلاق الا يتقاضوا
مليما ومايزال بهم حتى ينزلوا على امره ويقبلوا ما يعرضه . وقد
كان ما يعرضه سفاكا للمال كما هو سفاك للدماء وكانت الانتخابات
قد بدأت وكان عز الدين منتقيا لحزب الوزارة التى تركت الحكم
ولكنه فى نفاق واضح لا شبهة فيه ولا مراوغة ترك حزب الحكومة
المولية وانضم الى حزب الحكومة الحاضرة . فالرجل لم يدع فى
يوم من الأيام انه ذو مبدأ او انه سياسى او انه . . لا قدر لاله . .
ذو شرف .

ولم يكن هذا الانتقال من حزب الى حزب نظرة الى الانتخابات فهو يعرف نتيجتها على الحالين وانما كان تحسبا لما بعد الانتخابات وحرصا على ان تكون صلته بالسلطة التنفيذية وطيدة فتظل ايجارات الاوقاف مساوية المفعول في العهد الجديد وتظل رغباته في تعيين العمدة ونقل الموظفين نافذة . وهو قبل لم يختر للحزب الذي كان فيه عن مبدأ ولا هو انتقل الى الجانب الآخر عن اعمال رأى . . فالشرف السياسى بعيد عن كيانه كل البعد . ومادام الأمر كذلك فماذا سيخسر ان ان هو ترك حزبا الى آخر . . لا خسارة طبعا . . والريح مؤكدة .

وراحت مواكب عز الدين تجسوب بلاد السدائرة . وان له لبعصمة في كل بلد زارها . . وبعصمة السفاح تترك حيث تقع دماء ان لم تكن دماء بشر فدماء كرامة مسفوكة وخزى يلحق بمن اختاره الطاغية ليكون ضحيته . . والسفاح معدوم الحياء جامد الوجه شديد التبجح فليس يراعى الا يمر بببيت قوم قتل عائلهم او سلب بهائمهم او حرق زرعهم او محصولهم . وانما هو يتعمري ان يعمد في اول نزوله الى القسرية الى البيت المخضب بدماء البشر او الكرامة او الفقر التى اسالها هو ويتعمد اعوانه الذين هم على شاكلته من الفجور ان يرفعوا عقائهم بالهتاف له ثم ينطلق رصاص عصاباته ليعلن ان الذى يتخلف عن الهتاف ينوب الرصاص عنه في هذا الهتاف .

وعلا الضجيج وعلا الصخب ودق الطبل وعلا الزمار وتهاتفت اصوات الرصاص وغلت دماء في العروق وصمعت حميا الجنون الى مكان العقول وسقط عز الدين الخولى قتيلا برصاصه في رأسه وخشع الطبل والزمار وولى الجرمون بزعملة ابو صريع

هريا وهم من كانوا يقسمون في كل يوم أنهم يقدونه بخيانتهم ..
ولكن القسم شيء وقتله ومجىء الشرطة والتحقيق شيء آخر ..
ويدا الفرح على وجوه الجميع في القرية تحاول أن تغطيه الحوقلة
ولا اله الا الله .. وسبحان الدائم .. ومحاولة التظاهر بالحزن
أمام ابنه ومن بقى من اعوانه .. فمن أين لهم أن يعلموا ان كان
شعبان في مثل اجرام ابيه أو اقل أو أكثر فهم لم يجربوه بعد ولا
يدرون مدى جبروته أو ضعفه .. لقد عاش عمره تابعا لجرم
افتراه يصبح متبوعا لجرمين أم لا يكون الله وحده اعلم .. التظاهر
بالحزن لسلم .. وما هي الا ساعة أو بضع ساعات ثم ينحسر عن
القرية موكب الاجرام ويفرغون هم لأفراحهم بما خلصهم الله من
هذا العاتية السفاح .. كان من المستحيل أن يعثروا على الجاني
فكم من أعداء للقتيل .. وان انصرف الظن الى من تكبهم عز الدين
من أهل القرية فسرعان ما يخيب هذا الظن فقد كانوا جميعا يعلمون
انه قادم الى القرية في هذا اليوم وكسان من الطبيعي أن يتركوا
القرية اكراما لأنفسهم أن يروا وجهه الذي لا يطيقون رؤيته
وتقية أن يبلغ منهم الغيظ مداه فتنتلق من أفواههم كلمة قد تكون
فيها نهايتهم ويدرك الشرطة أن القاتل قادم من بلد أخرى وانه تخفى
حتى لا يلحقه أحد ممن يعرفونه من أبناء هذه القرية وانه انتهز
فرصة الهتاف والرصاص والطبل والمزمار ونال ثاره وثار كثيرين
آخرين غيره .. ولم يدهش أحد من كل الذين شهدوا القتلة
أو الذين سمعوا بها فهي أمر كان لابد أن يقع على هذه الصورة
وليس على غيرها .. كل الذي كانوا لا يعرفونه هو متى .. وقد
عرفوه ..

حين اجتمعت أسرة وهدان بعد وفاته بفترة قال خليل كلاما
ناطعا :

— يا أمه أنت الكبيرة ولا رأى قبل وأيك ولا بعده ولكننا نعرف
أن هذا الحديث لا يطيب لك .. ونعرف معنى أن تفقدى المرحوم
ولكننا فلاحون .. والأرض جامعة صلبة بلا عواطف ولا يد لها من
خدمة وأنا لى رأى ..

وقالت نبوية :

— يا خليل يا بنى أنا لىس لى أرض .. الأرض أرضكم ..

وقال سباعى :

— بل كلها أرضك ..

وقالت فاطمة :

— اسمعى يا أمه أنت تديرين الأرض كما كان يفعل أبى
ويساعدك سباعى ..

وقالت عابدة :

– ونعم للرأي يا فاطمة .. وماله يا أمه .. أنت فصلاح
بنت فلاح وسباعي أبك ..

ونكس سباعي رأسه في مراوغة مكشوفة وقال :

– أنا تحت أمركم .. إلا أنني أحب أن اتسلم نصيبي ..

وقالت الأم في أمي وفي تودة :

– طول عمرك مستعجل يا سباعي ..

وقال سباعي :

– ليعن في الأمر استعجال .. هذا شرع الله ..

وقالت الأم :

– لا إله إلا الله .. وهل نازعك فيه أحد .. ولكن أنت كذا
طول عمرك مستعجل ..

وقال سباعي :

– يا أمه أبدا ..

وقالت نبوية :

– أن لم تكن عجولا. لانتظرت على الأقل حتى تسمع زايي ..

وقال سباعي :

– أنا أسف يا أمه .. الحق على .. قولي رايك ..

وقالت نبوية :

— الآن لا أقول ..

وقال سباعى :

— ورحمة أبى الا قلت رأيك ..

وقالت نبوية :

— ماذا كنت تريد ان تقول يا خليل ؟ ..

— كنت اريد ان اوفر عليكم كل هذا الحديث .. اما الآن وبعد ان قالت فاطمة ما قالت ووافقت عابدة على كلامها فلا بد ان اسمع رأيك أولا ..

واندفع سباعى قائلا :

— هذا ليس رأى فاطمة ولا عابدة .. هذا رأى الشيخ ياسين والأستاذ حسونة .

وقال ياسين :

— أولا يا سباعى انا وحسونة جالسان ولم نفتح فمنا بكلمة واقسم بعهد الله اننا لم نلتق قبل هذا الاجتماع ولم نتفق على هذا الصمت ولكننى رأيت ان هذا هو الخليق بى ويبدو ان حسونة رأى نفس هذا الرأى .. ولو كان ما قالته زوجتى رأى لقلته واعتقد ايضا انه لو كان رأى حسونة لقاله فليس علينا باس ان نشارك فى شئون عائلة أصبحنا منها بحق النسب .. ولكن هذه ارضكم وزوجتى والحمد لله تعيش حياتها الزوجية فى رضى واعتقد ان

أختها كذلك .. ولهذا فأنا أرجوك أن تبعدنى عن هذه المناقشة
ويتهبأ لى أن حسونة يرجوك نفس هذا الرجاء ..

وقال حسونة :

— الله يفتح عليك يا ياسين .. ليس لى بعد ما قلت كلمة
واحدة أزيدها ..

وأستخزى سباعى بعض الشيء وأطرق وقالت نبوية :

— ألم أقل لك يا سباعى أنك دائما مستعجل ..

وقال سباعى :

— الحق على مرة أخرى .. قولى أنت رأيك ..

وقالت نبوية :

— الأمر لله .. أقول .. أنا لا أريد من الدنيا إلا أن أكون
أمكم وأن أبقى فى هذا البيت لأفتح لكم جميعا حين تأتون اليه
وبهذا أشعر أننى أستطعت أن أرى بعض الدين الذى فى رقبتي
للمرحوم الذى عشت معه ما عشت ولم أرى منه فى لحظة من اللحظات
ما يسيئنى حتى إذا غضب كان يدخل الى حجرته ويقفل بابها على
نفسه حتى لا أراه مكشرا .. أرض ؟ أنا لن أشوف .. وأن كنت
كما قالت فاطمة فلاحه وبنيت فلاح إلا أننى منذ تزوجت أبوكم لم
أخرج الى الغيط .. حتى حين كنا فتراء فى أول حياتنا رتب لنا
مصطفى السقا حتى لا أخرج للء الجرة .. فأى أرض هذه التى
أشوقها .. وهل تسمح سنى بذلك .. يا أخى أنا كفاية على أن
أجعل البيت دائما مستعدا لاستقبالكم .. غير هذا أنا ليس عندى

كلام ٠٠ وما تشوفه أنت وأخوك أنا مسئولة أن أجعل فاطمة وعبدة
تقلانه ٠٠

وقال خليل :

— اطلال الله عمرك يا أمه وأبقتاك لنا جميعا ٠٠ نعم الرأي
الحقيقة أننى الآن أصبحت طبيبا ٠٠ والطبيب يحتاج لوقته كله
حتى يكون طبيبا ناجحا ٠٠ وأنا متأكد أنكم تحبون أن يكون أخوكم
ناجحا ٠٠ والحقيقة أيضا أن سباعى كان دائما ابن الأرض يعرف
كل شيء عنها وكان أبى يعتمد عليه منذ كان سباعى صبيا وحين
أصبح شابا كان هو الذى يشرف على الأرض ويكتفى أبى بأن
يعرف منه ما فعل ٠٠ وكان أبى يبيع المحصول وبحضور سباعى ٠٠
ليس هذا كله حقا ٠٠

وهيئمت أصوات بالموافقة فأكمل حديثه :

— وأن يجلس كل واحد منا آخر السنة ويرى حساباته أمر
أنا لا أحبه فقد تفتتخ فاطمة بالحساب ولا أفتتخ أنا مثلا ٠٠ فالرأى
عندى أن أفتد الآن مع سباعى ونرى ما أنتجته الأرض فى السنوات
الثلاث الأخيرة ونقدر أيجارا معقولا يعود بالربح على سباعى مقابل
ادارته للأرض وتعبه فيها ويكون كل منا على علم طول السنة بما
سيحصل عليه آخر العام ٠٠

وقالت الأم فى حسم :

— كلام معقول ٠٠

ونظرت فاطمة الى أختها وبادلتها عابدة النظر وتلمست كل
منهما رأيا عند زوجها فلم تجدا اعتراضا وقالت فاطمة :

- موافقة ..

وقالت عابدة :

- نكتب عقود ايجار ..

وقال خليل :

- نكتب عقود ايجار ..

وقال سباعى والفرحة تملأ عليه منافذ الهواء :

- على بركة الله ..

حين خلا سباعى الى شعبان بعد ماتم ابيه سأل شعبان عما فعله مع اخوته فاخبره .. وفكر شعبان مليا .. ثم قال :

- بعد الأربعين أريدك فى امر مهم ..

كان شعبان انسانا آخر غير ابيه وغير الذى عرفه فيه ابوه .. فان تكن الأرض هى كل حياة ابيه يقتل فى سبيلها الناس ويمتص دماء البشرية فان شعبان لم يكن يرى فى الأرض الا وسيلة تمكنه من قضاء أيامه مقلوبة ومن أن يجعل نهاره كله سودا لأنه فيه دائما يحب أن يكون نائما ولياليه كلها بيضاء باللغز الملقى على أجساد الراقصات وهن بعض كاسيات أو حمراء بالضوء الشاحب الهارب فى خجل من جسومهن وهن عاريات .. تلك هى الحياة عنده .. وأن كان فى حياة ابيه يماونه فى الزرع ويغضى عما يفعله بالبشر فما كان هذا منه الا لينال ما ينفقه

على صنعته الوحيدة فى الحياة وهى المتعة والمتعة المشتراة وانها
لباهظة الثمن .

وان كان أبوه يحب أن يكون عضوا فى مجلس النواب
معتليا كرسيه على الرعب يثيره فى الناس بالقتل والسرقة
والغصب والنهب والجبروت فان شعبان كان ينظر الى مجلس
النواب هذا على أنه تسلية لا طائل تحتها مادامت لياليه لا تنتهى
بما تنتهى به لياليه هو . . وان كان فى حياة أبيه مرغما
على الزراعة والسمى فى الانتخابات . . فلا ارغام اليوم عليه . .
وقد كان شعبان فى القمة من سعادته بزواجه الرضية التى
لا ترى فيما يفعله من سهر أمرا غير عادى وانما هو مالوف ما
يصنع الرجال وما عليهم فى ذلك من بأس ماداموا آخر الليل
أو أول النهار ينامون فى أسرة منازلهم . . وكانت قد ولدت
لشعبان سمية ووليد هوى مشغولة بأبنائها والمال عندها دائما
موفور بما يرسله اليها اخوها أو يعطيه لها حين يزور مصر . .
وهى تشتري ما يعن لها أن تشتري وربما كان الشيء الوحيد
الذى كانت تتوق اليه هو زيارة أمريكا وأوروبا وقد كان زوجها
يعتذر عن عدم تنفيذ هذه الرغبة بمشغوليته فى أملاك أبيه مخفيا
الأسباب الحقيقية التى يتقدمها جهله باللغة ولكنه امام اللحاحها
وافق على السفر معللا نفسه ان اللغة التى يجب أن يتحدث بها
عالية وربما وجد فى باريس مثلا من يفهمها خيرا مما يفهم
الفرنسية نفسها وحدد لسفره انتهاء المعركة الانتخابية . فحين
قتل فيها أبوه تأجل الموعد الى أن كمر فترة مناسبة وهكذا كان
شعبان فى مشاغله وآماله بعيدا كل البعد عن مشاغل أبيه
وآماله . . وكان أبعد ما يكون عما يفعله أبو سريع وقد كان
واقفا ان أبو سريع لن يبقى معه بعد موت أبيه الا ريثما تمر فترة

تسمح له أن يجد مستأجرا آخر .. فما كان شعبان يتصور أن
يقتل أحدا في سبيل أى شيء إلا أن يعوقه عن متعته في الملامى .

ولهذا لم يكن غريبا أن يقول شعبان لسباعى بعد احياء
ذكرى الأربعين لوفاة ابيه :

— ما رأيك يا سباعى أن تصنع معى ما صنعتته مع اخوتك ؟

وذهل سباعى .. احقا ما يسمع .. ويسأله أيضا ما رأيك
.. وهل فيها رأى .. لقد بدأت الآمال تتحقق من أوسع الأبواب .

حين غادر سباعى بيت شعبان قصد من فوره الى بيت
أبو سريع ..

— السلام عليكم ..

— أهلا سباعى بك مرحبا .. القهوة يا ولد .. يا مرحبا
أهلا وسهلا ..

— أهلا بك يا أبو سريع .. قهوتك مشروية يا أبو سريع الا
أنتى أريدك فى كلمتين ..

— تحت أمرك .. عن اذنكم يا رجال ..

وينظر الرجال بعضهم لبعض فى دهشة شديدة ثم يقومون
الواحد منهم قلو الآخر وقبل أن يصل أولهم الى الباب يصيح
سباعى :

— يا سلام ...

ويقف سلام ويلتفت اليه فى اجلال :

- نعم يا بك ..
- انتم طول عمركم رجال ..
- تحت امرك ... مر ..
- هذه الزيارة ..
- مالها يا بك ..
- لم تحصل .. لم تتم .. لم اجيء الى هنا .. لم يرشى احد منكم ..

وابنسم سلام وهو يقول :

- وهل جئت يا بك حتى يراك احد منا .. هيا بنا يا رجال

وخرج الجميع وهم يضحكون تشييعهم جملة سباعى :

- الم اقل انكم طول عمركم رجال ..

وحين خلا المكان بسباعى وابو.سريع قال سباعى :

- هل اتفقت مع احد بعد عز الدين ... بك .

- يا بك الاربعين كان اول امس .. من يمكن ان يكلمنى

قبل ان يمر الاربعين ..

- لا تتفق ..

- امرك ... فيه حاجة ..

- لا تتفق وبس .. افهمت ؟ ..

- امرك ..

★ ★ ★

متولى أبو منصور هو أحسن فلاح فى أرض وهدان جميعا وقد أنتج فدانته فى العام الأول من تولى سبأى الأرض سبعة قنابير . وكان نظام الزراعة مع المالك خاضعا للمحمول وهى نظام يشبه الأيجار إلا أن السداد فيه يكون عينا أى بالمحمول نفسه . وكان هنا السداد يسمى المحمول وقد غلبت هذه الكلمة على النظام كله فكان يقال أن الزراعة بالمحمول وكان محمول الأرض السدى يجب أن يسدده الفلاح فى أرض وهسدان هو ثلاثة قنابير عن فدان القطن وثلاثة أراذب عن فدان القمح وأربعة أراذب عن فدان المنرة . وكان متولى يزرع خمسة أفدنة وكانت الأرض تنتج فى مالوف عاداتها خمسة قنابير وكان الأصل أن يكون ثلاثة أحماس المحمول للمالك وخمسة أراذب فان كانت هناك مصاريف زراعية تخصم بنفس النسبة مما تبقى من نصيب الفلاح ويتقاضى المالك هذه المصاريف التى غالبا ما تمثل الكيماوى والرعى وجمع قطن عينا أيضا عن محصولها .

وحلا لسباعى ان يبدأ حياته الجديدة التى أعدد نفسه لها
منذ باكر الأيام مع متولى أبو منصور الذى يزرع عندهم منذ
عشرين سنة ونيف . أرسل اليه وبدأ يحاسبه على ملامن
الناس :

– كم أنتج الغدان عندك

– ياسى سباعى افندى

– بك يا ولد

– ولا مؤاخذه بك الا تعرف

– أعرف ولكن أريد الرجال ان يسمعوا

– سبعة قناطر

– هو ما قلت

– انا لا اكذب عمري وانت تعرف

– سبعة قناطر فى خمسة أفدنة يكون كل محصولك كم

– لا حول ولا قوة الا بالله

– انطق

– خمسة وثلاثون قنطارا

– حلو جدا ٠٠ فلماذا وردت خمسة عشر قنطارا

– عجيبية ٠٠ ثلاثة في خمسة ٠٠ ليست خمسة عشر ٠ وليس
على مصاريق أنا اشتريت الكيمسوى ورويت وأنا الذي جمعت
أيضا ٠٠ ماذا تعوز منى ياسى سباعى أفندى ٠

– بك

– بك

– اليس المحمول مخامسة

– كان كذلك حقا ولكن المرجوم والدك لما رأى الأرض تنتج
عادة خمسة قناطير جعل المحمول ثلاثة قناطير حتى ينال الفلاح
الذى يجتهد حقه وينال المقصر جزاءه عن ضعف المحصول وانت
نفسك كنت تحصل منا المحمول منذ سنوات على هذا الأساس

– ولكنى السنة اريده مخامسة

– السنة هذه غير معقول ٠٠ اما اذا كنت تريد ذلك فى
العام القادم فامرك ولكن رأى ان هذا ليس من مصلحتك وليس
عدلا أيضا ٠

– وهل لك رأى

– وكان المرجوم والدك يأخذ به منذ كنت أشيك على كطفى

– اخرس يا ابن الكلب

– ابن الكلب ٠٠ امى حصلت يا سباعى ٠٠

– بك ٠٠

– من غير بك ٠٠ سلام عليكم
وانصرف متولى ونادى سباعى

– يا ابو سريع
وجاء ابو سريع من الحجرة الأخرى

– نعم يا بك

– قطن متولى ابو منصور يذهب رجالك اليوم ومعهم بعض
رجال تختارهم أنت وتعبتونه فى الأكياس وتجيئون به الليلة •

– امرك يا بك لكن فقط

– مالك

– سمعت وهو جالس معك من الرجال انه باع قطنه

– باعه ؟

– نعم

– وسلّمه ؟

– اليوم وقبض ثمنه

– تذهبون اليه وتطالبونه بثمن سبعة قناطير منه • انا
لا اظلم أحدا •• انما حقى لايد أن أخذه

ولم يجد الرجال الجالسون والذين يقف امامهم ابو سريع
يكل تاريخه فى موقف التابع الخاضع لسباعى بدا من أن يقول
قاتلهم :

— عداك المعيب

— رجل وابن رجل طول عمرك

— وكثر خيرك لانك لم تؤدبه بثمن قنطارين جزاء طريقته
في الكلام مع سعادتك

ويقول سباعي الذي أحس ان مراسم التتويج الاجرامى قد
تمت له بهذا النفاق

— المؤدب ربنا .. انا أريد حقى فقط .. اذهب انت يا أبو
سريع

— امرك يا سعادة البيك

وينصرف أبو سريع ويأخذ الرجال الجالسون مع سباعي
في حديث آخر وحين يأتى أبو سريع يبادره سباعي :

— هه .. احضرت المبلغ

— يا سعادة البيك هذا الرجل قليل الادب

— كيف ؟

— قال لن ادفع شيئا ولن اخاف منك يا أبو سريع ولا من
سيدك الجديد واعلى ما فى خيلكم اركبوه

ويقول سباعي :

— أهو قال هذا

ويقول أبو سريع

— يا سعادة البك وماذا يجعلنى اتقول عليه وانا لم أخاطبه
فى حياتى الا اليوم

— هيه ٠٠ طيب منه الى الله ٠٠ روح انت يا أبو سريع

والتفت سباعى الى الرجال وقال

— اذا منعته من الزراعة عندى ايلومنى أحد

وقال اكثرهم نفاقا

— وهذا قليل عليه

وقال سباعى فى تظاهر بالعمو والرحمة

— يكفيه هذا وانما اردت فقط ان تكونوا شاهدين

مر على هذه الواقعة يومان فقط واذا بلدة الصالحة تعلو
بها اصوات الأعبيرة وما ان تنكتم حتى يعلو الصراخ وتنقلب
البلدة كلها الى بيت متولى ٠٠ لقد أطلق عليه الرصاص وهو
جالس مع زوجته يتناول العشاء وعلى ركبته ابنه الأصغر
الذى كان فى الخامسة من عمره وقد افنى الرصاص ثلاثتهم
وجاءت الشرطة وجاءت النيابة واستقبلهم العمدة والخفراء
وجسرى التحقيق ولم يكن أحد فى القرية يجهل القاتل والأمر
بالقتل جميعا لأن أحدا فى القرية لم يكن يجهل تفاصيل ما حدث
بين سباعى ومتولى ٠ ولكن من ذلك الذى يريد ان يلقي مصير
متولى ٠ وازداد سباعى فجورا فأعلن ان مصاريق الدفن والماتم

عليه - فهو رجله وهو مسئول عن دقنه هو وابنه وزوجته وعن
ماتمهم أيضا . ويبلغ أقصى القمة حين وقف يستقبل العزاء يحف
به عن يمين شاكر الابن الأكبر لتولى وعن يسار عبد القواب
الابن التالي لشاكر .

وعرفت القرية أو المنطقة أن سباعى قد جلس على عرش
سيء الذكر المبحوم عن الدين الخولى بك .

ثنى سباعى بحسن بن عبد الحميد أبو ديدة الذى أوصاه
بابنه هذا لقاء نصيحته له أن يتزوج ابنة عز الدين . طلب سباعى
الى حسن أن يبيعه أفدنته الثلاثة فرفض حسن .

- ماذا يقسول الناس عنى . باع أرض أبيه . خائب أنا
أذن لا أكسب من صنعتى

ويقول سباعى وكأنه ينصحه :

- يا بنى انت فى دكانك ولا تستطيع زراعة الأرض وهم
ينهبونها منك

- كل هذا ولا أنى ابيعها

- بل تبيعها

- أهذا تهديد يا سباعى بك

- ليكن كذلك

- تقتلنى كما قتلت متولى

- وهل أنت كبير

- كبير جدا

- فتشوف

ويحرق المحصول في أرض حسن وتسرق بهائمه في ليلة واحدة ويأتي خاضعا وعيناه نيران ولهيب وغيظ وتسرود ولكنه تمرء المكبل الذي لا يستطيع من كبوله فكاككا

- ابيع يا بك ابيع وامرى الله

- بنصف الثمن الذي عرضته

- بنصفه ١٩

- اذا كان يعجبك

- يعجبني فابناشي سفار ولن يجدوا من يريهم من بعدى .

• ابيع • وان قلت بغير ثمن ابيع ايضا

وامر سباعى وكتب العقد .

ثم استدار الى سليمان النواوى . ذلك الرجل الذى اتاح لأبيه ان يشتري عشرة الفدنة بالدين الذى استدانه منه . ذلك الرجل الذى قبل سباعى يده يومذاك وغضب أبوه من فعلته تلك مرتتيا فيها بعدا عن الكرامة . هذا الرجل صاحب ذلك الفضل عليهم استدار اليه سباعى بجبروته الجسدي . وكان الرجل قد علت به السن واستطاع ان يجمع الى الستة الفدنة عشرين أخرى

وكف عن التجارة خاشيا الا يتيح له ومن جسمه ان يقدم لها
ما تستحق من معنى . ومكث الرجل يري اولاده بريع ارضه .

استقدمه سباعى الذى لم يستطع ان ينسى ان اياه كان
يستطيع ان يشتري هذه الأقدنة المسستة وعف عنها بكبرياء من
لا ينتهز للفصوص وينهش ما ليس له بحق . واستطاع فى جمود
مشاعره وتحجيره ان ينسى ان سليمان ابدلهم بالمسنة أفدنة عشرة
ونسى بعواطفه الصلبة البخيسة صداقة سليمان لابييه منذ وقف
ابوه الى جانبه فى أزمته .

استدعاء :

— اشترى الأقدنة الستة

ومع ان سليمان رجل عجوز خبير من الحياة أوجه الحياة
جميعا ومع انه عاش أغلب عمره تاجرا يرى ما لا يراه الناس
ويعرف من القوم اسافلهم والاكرمين منهم . ويعرف من الاسافل
أشدهم انحطاطا ومن الاكرمين اعلامهم يدا . ومع انه عرف من
الحياة كل دناءتها وكل ما فيها من قدر ودينس ، ومع انه أصبح
وهو لا شيء يدهشه ولا يثير فيه تعجبا . . . مع كل هذا . . . ففر
الرجل فاه . هذا نوع من فجور الحياة لم يتصور انه ملاقيه . .
ومن هذا الولد الذى قبل يده . ومن ابن أعز صديق له .

وتمالك سليمان امر نفسه ولكن بعد فترة ليست بالقصيرة
سيطر فيها الصمت الصاخب فى نفسه والصمت المتبجح من
محدثه
— أه . . . أنت لم تنس ان اباك كان يستطيع ان يشتريها
وعف

ويقول سباعى فى جراءة :

– عليك نور

– ولكنك نسيت أننى اشتريت لايك عشرة أفدنة بدلا منها

– ونسيت هذا ولن أنكره مهما ذكرتنى به

– كم تريد أن تدفع

– بكم تريد أن تبيع

– اما انا فلا أريد أن ابيع . ولكننى تاجر وأعرف أنك
حددت الثمن وأعرف أيضا أننى لن أستطيع أن اناقشك فهل
اعدت العقد

– جاهز

– اين هو

– ها هو ذا

– وهذا توقيعى .. سلام عليكم

– ونفودك

– أرسلها حين تريد مع أبو سريع فهو الذى صنع الصفقة
.. سلام عليكم

كان صلاح طفلا لا يدري ما يصنعه أبوه وحين بدأ ينطق الكلام ويفهمه وجد أباه في مكان الصدارة من البلدة جميعا ووجد الناس لا تخاطبه الا بكل اجلال ، وحين بلغ الخامسة من عمره وجد أبوه ان من الطبيعي ان يذهب الى المدرسة والد احب ان يبعده عن القرية فقد خشى ان يجتمع بالفلاحين فيعترف منهم في طفولته ما لا ينبغي ان يعرفه عن أبيه . اما القاهسة فهي بعيدة وابنه هناك سيكون في تيه عن امر أبيه وأمر أبيه هناك لا يعرفه أحد . وان كان سيلتقي في القاهسة مع ياسين زوج اخته ومع عابدة اخته الا ان أحدا منهما لن ينم ابا الى ابنه وخاصة اذا كان الأب هو المتصرف في أرضهم . ومهما يكن ظلما لأخته واخليل متابيا ان يرفع الايجار الذي ارتفع في جميع الأراضي الا انه مع ذلك كان واثقا ان أحدا من الاثنين لن ينم ابا عند ابنه . وسيرى هناك الدكتور خليل عمه ولكن خليل ابعد ما يكون عن ذلك فان من هو في مثل علمه لا يتصور ان ينكر ابا عند ولده بما لا يرضاه .

كلم سبعاى ياسين فى التليفون وطلب اليه أن يبحث له بجوارهم فى المنيرة عن شقة تسكن فيها قدرية وابنها وقدر انه يقربه من ياسين المدرس سيكون فى رعاية منه طيبة خاصة وانه فى مثل سن ابنه عمر وسيذهبان مدرسة واحدة . وتم الامر كما أراد تماما وذهب سبعاى الى القاهرة ورأى الشقة وكانت فاخرة واسعة فقد استقر فى نفسه أن تكون بيتا له فى القاهرة يلتقى فيها بمن يرى دعوتهم الى غداء أو عشاء اذا اقتضت مصلحة أن يدعو الى غداء أو عشاء ، وبعد أن وقع عقد الشقة عازمت عليه أخته وزوجها أن يبيت ليلته عندهما ولكنه رأى أن يبيت عند أخيه خليل . واستقبله خليل بترحاب أخ شريف يحب أخاه ويتفاسى عما يرتكس فيه مما لا يرضاه الشرفاء وبعد العشاء قال خليل :

— قل لى يا سبعاى . . من المؤكد أنك عندك من المال
السائل ما تريد

— الحمد لله لا أشكو

— لا تخف انا لا أنوى أن استلف منك فالحمد لله أنت لا شك
تعرف اننى اكسب من عملى مكسبا يكفينى ويزيد

— ولماذا لم تفكر فى الزواج

— فكرت

— سواخترت ؟

— وسأدعوك قريبا لتخطب لى وتنفق على كتب الكتاب

... أعرافها ؟

... لا أظن أنها ابنة استاذ لي وطبيبة زميلتي

... وستجعلها تعمل ؟

... طبعا هذا أمر لا تتصوره أنت ولكن هل تظن مصر
تستطيع أن تستغنى عن جهد طبيب أو طبيبة .

ويقول سباعى فى دهشة :

... مصر وانت مالك وما لمصر

ويقول خليل فى حسم :

... طبعا هذا موضوع لا شأن لك أنت به

... انا من مصر .. الست كذلك

... سباعى اعلم معسوف .. يا أخى لكل منا طريق فى
الحياة لا يتوازى معه ولكن يتقاطع .. ولا يمكن ان أفهمك
وأنت أيضا لا يمكن ان تفهمنى فدع هذا وقل لى . هل عندك
مانع أن تشتري أرضى

... مطلقا .. كم تريد فى الفدان

... أنت الذى تسألنى . اننى لو كنت أبيعها لغريب لجملكه
أنت الذى تبيعها عنى

... وهو كذلك .. لشتريت

- ادفع الثمن ولن اناقشك فيه واكتب العقد الآن
- وكتب سباعى الشيك وكتب خليل العقد وتمت الصفقة •
- وقال سباعى :
- اين مفتاح شقتك
- فى جيبى
- نم انت اذن وساترك لك المفتاح على هذه المنضدة حيز
أعود حتى تخرج الى عمك ولا توقظنى •
- الى اين انت ذاهب
- الم تقل ان الطريقين متقاطعان
- فقط اردت ان اعلم
- و انت تعلم ولكنك تتخايب على
- ظننت انك ستقضى الليسلة معى نسمر فانا لا نلتقى الا
قادرا
- انت ستنام
- ما اخبار امى ؟
- قاطمتنى
- ولهذا اسالك ••
- لماذا ؟

- انها قادمة لتعيش معى
- احسن
- اتظن ذلك
- اصبحت لا تحتمل البلد
- لا يخرج امى نبوية من البلد الا ما لا تطيق
- مادنا اتفقنا ان الطريقين متقاطعان الا يحس بنا الا يناقش احدنا طريق الآخر
- على كل حال اشكرك
- العفوه علام ؟
- انك جعلت امى تاتى لتعيش معى
- وسارسل لك ايجار ارضها كل سنة
- بل اظنها ستوكلنى فى بيع ارضها هى ايضا
- وعلام توكلك .. اكتب وخذ العقد وخذ المشيك ولتوقع هى العقد عندما تحب
- وهو كذلك
- وتمت الصفقة .. وقال سباعى :
- والآن اين المفتاح ؟

— هل أنت مصمم

— لو شئت ما أشوفه أنا حين اجيء الى مصر لما سألتنى
هذا السؤال .. اتظن نفسك عائشا يا دكتور

— علم الله ان حياتى هي الحياة .. ولكن فليتناطح
الطريقان ولا نتقاطع نحن وخذ المفتاح

— ولكن تقاطع الطريقين لن يمنعك من رعاية صلاح فانى
سأتركه تحت اشرافك وسجلت اسمك فى المدرسة وليا لأمره .

— هل رأيتنى عمرك اتخلى عن واجبى . انا أعرف واجبى
دائما وصلاح ابنى كما هو ابنك

— أعرف نلك سلام عليكم ..

وخرج سباعى الى سهراته التى بدأ تاريخه معها فى
صحبة شعبان والتى أصبح مجيئه الى مصر مرتبطا بها ارتباطا
يوشك ان يكون هو الوحيد .

حين جاءت نبوية الى بيت خليل وأعطاهما ثمن أرضها
سألته :

— ماذا أنت صانع بأموالك

— سأشتري بها كمية من الأسهم

— وماذا تصنع هذه الأسهم

– تدر دخلا أحسن من دخل الأرض على الآل

– لنن فاسمع أشرت بثمان أرضي أنا أيضا كمية من الأسهم
باسم أختك فاطمة وأختك عابدة واسمك للذكر مثل حظ الأنثيين

– لنا متنازل عن نصيبى لهما .

– الله يفتح عليك ويعوضنى فيك عما أصابنى به من
أخيك . فقط أريد الربيع طول حياتى .

– وأنا ادفع لك قيمة الربيع وأتركى أنت الربيع للبنات

– .. أظال الله عمرك ولكن لا .. ان أعيش على نفقتك
لا مانع فهذا حظى عليك لكن بصروف يدي لايد أن يكون من دخل
مالى أنا .. حين أريد أن أعطى أحدا من أولاد أختيك هدية
لايد أن تكون من مالى أنا . أعط أنت لأختيك ما تشاء لتعينيها
أما أنا فربيع الأسهم يكون لى طول حياتى .

– امره . وسيكون كذلك .

حين اقتربت الاجازة الصيفية كان سباعى فى بيته بالقاهرة
فى المامة هريمة فاذا صلاح يقول له :

— بابا ستأخذ الاجازة الصيفية بعد أسبوعين .

ووجم سباعى فما كان يفكر فى هذه الاجازة فطالعتة من
حيث لا يحتمسب وبنون وعى سال ابنه :

— وماذا تريد أن تفعل

— اذهب للبلد

— وماذا تصنع فى البلد

— اركب الحمير والمعب الكرة . . اننى اريدك أن تشتري
لى كرة المعب بها مع أصحابى فى البلد

— اى بلد التى تذهب اليها

– بلدينا ٠٠ انا احبها جدا يا بابا

– يا بنى البلد قراب وعفار

– ولكنك تعيش فيها مع التراب والعفار

– شغلى

– رقصت فى العيد واجازة نصف السنة أن تذهب بي الى

هناك ٠٠ ارجوك يا بابا ٠٠٠ والنبي

– الم اجيء اليكم فى العيد

– انت جئت نعم ولكن البلد لم تجيء

– وكيف تريد البلد أن تجيء

– اذهب اليها انا

وفجأة ومضت فى ذهن سباعى فكرة لم تكن خطرت له

على بال

– انت تلعب مع من طول السنة

– مع اصحابى فى المدرسة ومع عمر ابن عمى

وهنا فقط تدخلت قدريه فى الحديث :

– الله يخليها عابدة لا تتركنى ليلا ولا نهارا اما ياسين

لفندي فلا بد أن تقم له هدية عظيمة انه يحامل سلاح كانه ابنه

عمر وزيادة لا يشغله شيء فى الدنيا أن يعطيها كل يوم الدرس

ويزاجع معها دروس المدرسة فاذا احسن صلاح الاجابة اعطاء
مكافاة من النعناع والملبس والشيكولاتة التي لا يخلو منها درجه
ابدا .

والتفت سباعى الى صلاح

— مبسوط منك عمك ياسين يا صلاح

— كل يوم اخذ انا النعناع والملبس والشيكولاته وعمر
لا ياخذ

— انت اشطر من عمر

— بزمان.

وقال سباعى :

— ما رايك ان تذهب أنت وعمر وعمتك عابدة وعمك ياسين
الى الاسكندرية لتصيفوا هناك

والتفت الى قدرية وقال لها :

— وتكون هذه هي هديتنا الى ياسين وعائلته

وقبل ان تجيب قدرية يقول صلاح :

— ما الاسكندرية هذه يا بابا انا لم ارها عمري

ويقول الاب فى سخرية :

— والله يا ابنى ولا انا ولكن ماذا افعل : الغلبة لها
الحكام

وتقول قسرية وهي مترددة في السؤال وكأنها تعرف
الاجابة

— لماذا لا تريد صلاح ان يذهب الى البلد

— اريده بعيدا عنها

— الا يتبخر ان يتصل بالأرض

— ليس الآن .. حين يكبر

وفي خوف ولعثة قالت قدرية :

— اذا كنت لا تريده ان يعرف ما تفعله فلماذا تفعله

وفي حسم قال :

— انت التي تقولين هذا يا بنت عز الدين الخولى دعي هذا
الكلام لغيرك

— ومن قال لك اني كنت راضية عما يفعله ابي

— انتن فما دمت لم تكوني راضية فمن الطبيعي الا يذهب
صلاح الى البلد ..

وحاولت ان تقول :

— ولكن ...

وقاطعها سباح في لهجة العساقية التي اصبحت طبيعية
عنده

— انتهينا .. لا مناقشة

ونكست قدرية رأسها فى استسلام

- امرك

ومر هذا النقاش على ذهن صلاح وكأنه لغة أخسرى غير
التي يعرفها فهو لم يفهم من الحديث شيئاً وكان يفكر أن يسأل
ولكنه حين رأى الطريقة التي ختم بها أبوه الحديث أخذ الرعب
من ملامح أبيه ولهجته فنكس رأسه فى استسلام وراحت عيناه
ترتفعان الى أبيه مخالسة ثم ترتدان الى أسفل كأنما يخشى أن
يراء أبوه وهو يتجراً على النظر إليه . ورمقه أبوه فى حاله
هذه فحاول أن يزيل ما علق بنفسه من آثار الحديث

- لماذا يدرس لك عمك ياسين ؟

- القرآن .

- القرآن ؟

- نعم . فانا أحفظ الفاتحة وأحفظ الكثير من السور .

ونظر سباعى الى زوجته وسألها :

- هل يدرسون لهم القرآن فى المدرسة ؟

وقبل أن تجيب أجاب صلاح :

- لا . ولكن عمى ياسين يدرس لنا القرآن مع دروس

المدرسة .

ولم يجد سباعى شيئاً يعلق به الا أن يقول :

– ما رأيك أن تذهب الى الاسكندرية ؟

– انا لا أعرفها .

– سنعرفها معا .

– هل ستبقى معنا هناك ؟

– اطل عليكم كما افعل هنا . هيه ما رأيك ؟

– أريد أن اذهب الى البلدة .

وحسم سباعى الموقف :

– ستذهب الى الاسكندرية .

وفى الصباح توجه سباعى الى الاسكندرية وحين نزل من
القطار سأل عن فندق وذهب الى فندق سيسيل .

وهناك طلب من ادارة الفندق أن تدله على مسار شقق
وبدأ :

– أريد شقة .

– للمصيف ؟

– طبعاً .

– تقصد مفروشة .

وفكر سباعى قليلا فوجد نفسه لا يفهم السؤال فلم يجسد
بدا من أن يسأل :

— ماذا تقصد ؟

وفهم السمسار انه أمام رجل لم يطل الاسكندرية من قبل
فقال :

— هناك شقق يمكن أن تستأجرها طول العام وتفرشها أنت
وهناك شقق تؤجر للصيف فقط وتكون مفروشة ويكون أيجارها
مدة الصيف فقط أو جزءا منه اذا شئت أنت وكيفك .

وفكر سباعي قليلا .

— والشقق التي أستأجرها طول العام أفرشها أنا ؟

وقال السمسار :

— نعم وطبعاً تستطيع أن تأتي اليها في الصيف وفي
الشتاء كما تريد . تصبح شقتك .

— وكم أيجار هذه وكم أيجار المفروشة ؟

— على حسب الحجم والمكان .

— اقصد الفرق كبير بين المفروشة وغير المفروشة ؟

— طبعاً المفروشة تكون أغلى بكثير لأنك تستأجرها بفرشها
ولدة ثلاثة أشهر فقط على الأكثر .

— والسنة الجائية اذا أردت أن أصيف ؟

— نستأجر لك شقة أخرى .

- وأظن كل سنة أبحث عن شقة ؟
- طبعاً ..
- أذن فأنا لا أريد شقة مفروشة ..
- عظيم .. تريد شقة طول السنة ..
- طول السنوات ..
- طبعاً .. العقد يتجدد من تلقاء نفسه ..
- أريد من هذه ..
- كم تريد أن تدفع ؟ ..
- أريد شقة واسعة وعلى البحر والفلوس لا تهم ..
- وكان ما أراد ..

حين صدر قانون الاصلاح الزراعى الأول لم يمس سباعى
فقد كانت أرضه لا تزيد عن المائة فدان الا قليلا وكانت أرض
زوجته تقارب السبعين فداناً ٠٠ أما شعبان فقد كانت أرضه
تقارب المائة والأربعين فداناً ٠٠ ولكنه أحس بما تحمله هذه
القوانين فى طواياها فطلب الى سباعى :

— بع أرضى ٠٠

— ماذا تقول ؟ ٠٠

— أنا لست فلاحاً ٠٠ والدولة أصبحت لا تحب الملاك ٠٠

وفكر سباعى قليلاً ٠٠ انه يرى فى كلام شعبان حقاً ولكن
بيع هذه الأرض سيجعل المساحة التى يشرف عليها تنقلص فنظر
الى شعبان طويلاً ثم قال :

— ما رأيك أبيع أرضك ولا أبيعها ؟ ٠٠

– وكيف ؟ ..

– اكتبها بأسماء فلاحين آخرين واستكتبهم أوراقا بمبالغ
من ثمنها ..

– الله أكبر .. أحاول أن أهرب من الحكومة فاقع في أيدي
ناس الله أعلم بذمتهم ..

– ايجروا أحد منهم أن يطالب بالأرض ؟ ..

– يجرؤ أحد .. ويقول ان هذا البائع هو ابن عز الدين
الخولى وانه اغتصب منا كمبيالات .. لا .. لا يا عم ..
الا هذا .. وأنا ما حاجتى الى الأرض .. بعها يا سباعى ..
واسمع منى نصيحة هذا الزمن يجب أن تعرف أنه غير الزمن
الذى نعرفه والله وحده يعلم ما مصير الملك فيه ..

– والله كلامك معقول ..

– بيع أرضى الآن .. وأنت اليوم تستطيع أن تحسن بيعها
قبل أن تضيع منى

– وماذا ستعمل بالفلوس .. تصرفها على اياهن ؟ ..

– أنا أحب المتعة ولكنى صاحب أولاد وقد فكرت جيدا ..

– ماذا ستفعل ؟ ..

– سأعطى الفلوس كلها للأمير .. وان شئت أن تطعن
على سلمها أنت له ..

– وبعد ..

– سيضعها في أحد مشاريعه وسيعطيني مرتبا شهريا
أكبر من ريع الأرض خمس مرات وآخر السنة يعطيني بقية أرباحي
ويبقى رأس المال كما هو ٠٠ وحتى يزداد اطمئنانك سيضع المال
باسم وليد وسمية بالنصيب الشرعي ٠٠

– وهو كذلك ٠٠

– كم يستغرق بيع الأرض ٠٠؟

– لو كان غيري الذي يبيع لاستغرق بيعها شهرا قد
تصل الى سنوات أما أنا ففي مدى شهر واحد سأكون قد بعث
الأرض ٠٠

وانفذ سباعي وعده وكان الأمر ميسورا بالنسبة اليه فقد
أمر كل مستاجر في الأرض أن يشتري الأرض التي يزرعها ولم
يبالغ في الثمن وسارع المستاجرون يشترون فقد كانوا على ثقة
أنهم لن يحصلوا على هذه الأرض تطبيقا لقانون الإصلاح
الزراعي الذي سمح للمالك أن يستبقى مائتي فدان إذا لم يكن له
أبناء وثلاثمائة إذا كان أبا ٠٠ وشعبان أب وأين مائة وأربعون
من ثلاثمائة ٠٠ ولم يكن عسيرا على المستاجرين أن يحصلوا
على اثمان الأرض فمن لم يكن منهم ميسورا كان يسيرا عليه أن
يستدين المبلغ أو يتقاسم الأرض مع ميسور على أن يسدد هو
ما عليه على مدى الأيام ٠٠

باع سباعي الأرض جميعا وأبلغ شعبان بان ثمن الأرض
جنيعة معه ٠٠ وقال شعبان في فرحة :

– يعمر بيتك ٠٠ ما رأيك ٠٠ الأمير هنا هذه الأيام سادعوه
للغداء عندك بعد غد وسيتم كل شيء أمامك ٠٠

- وهو كذلك .. يا مرحبا ..

وتم الأمر كما رتبته شعبان وأصبح شعبان لا يعطك قيراطا
واحدا من الأرض ..

كان سباعى قد انضم الى التنظيمات السياسية الجديدة
ولهذا لم يكن عجبيا أن ترشحه الحكومة فى دائرة عز الدين
الخولى .. وبدأت الانتخابات .. وطلب صلاح أن يأتى الى
البلدة ليكون مع أبيه أثناء مروره بالدائرة . وأحب سباعى أن
يشهد صلاح أباه والناس تهتف باسمه والخطب تلقى فى مديحه
.. وجاء صلاح ورأى عجبيا .. رأى أباه يمر بالدائرة ولكن
محوطا دائما بالسلاح يشهره أبو سريع ورجاله ورأى فى لقاء
صباه أن الناس تهتف ولكن العيون والوجوه لا تهتف .. وسمع
الخطب تلقى ولكن الخطباء يتكلمون مذعورين .. فالأوجه منهم
ياسرة وعلى الجبين منهم حسرة وفى أصواتهم رنين المتهورين
من الرجال فعل المغلوب على أمره لا اختيار له ..

قليلًا ما بقى .. وعجب أبوه إلا يفرح صلاح بمسا يرى
واستبعد أن يكون قد وصل ببصيرته الى خفسايا النفوس ..
وما كان يتصور أن الروح الشفيفة ترى من الأشياء ما تخطئه
العيون .. وحزر أن يكون أحد قد هجم فى أذن صلاح بجبروت
أبيه ولكنه استبعد هذا الحزر أيضا فمن ذلك الذى يجرؤ على
أن يقدم على هذه الهمسة .. إذن فلماذا يطلب صلاح أن يعود
الى القاهرة ؟ ..

- ورائى مذاكرة ..

– الا تريد أن تنتظر حتى تعرف النتيجة ؟؟

– المرشح الآخر واضح المضعف وانا واثق من نجاحك ..

وسافر صلاح عائدا الى القاهرة وفي نفسه الكثير مما لو
أراد أن يعبر عنه لما استطاع .. انها مجرد مشاعر .. ان حاول
أن يسأل سته أو عمه أو عمته فانهم جميعا سيطلبون اليه الا يفكر
في هذا الذي يخشى ظنونه وكيف لأم أو لأخ أو لأخت أن يشوهوا
ابنهم أو أخاهم أمام ابنه ؟؟

طوى نفسه على ما بها وصمت ولكن نفسه أبت عليه هذا
الصمت .. قال لعمر :

– يا أخى سبحان الله .. هناك شيء فى البلدة لا أعرف
كيف أقوله ..

– ماذا ؟؟

– الناس تخاف من أبى ..

– وماذا فى هذا ؟؟

– الكلام معك لا يجدى ..

وانتظر فرصة فى فسحة الظهيرة وذهب الى زوج عمته
فقد أصبح هو وعمر تلميذين فى المدرسة نفسها التى يعمل
ياسين مدرسا بها . وكان صلاح يحس نحو ياسين بنوة صادقة
يمارزجها اعجاب شديد .. فقد استطاع ياسين أن يرسى فى
نفسه حب الله والطمأنينة اليه بما علمه من الدين وما حبه فى

القراءة وفي كل المعاني التي أصبح صلاح يجدر فيها سموا وقربا
من السماء ٠٠ كما استطاع أن يجعله يحب أن يذكر لا للنجاح
ولكن للعلم ٠٠ وإن كان صلاح في سنة هذه الباكورة المتشوقة في
مطالع الشباب الأولى إلى الغد لا يستطيع أن يقدر فضل ياسين
عليه بالعقل والمنطق إلا أنه كان يشعر بهذا الفضل بنقاء هذه
السن التي تتمازج فيها الطفولة مع الشباب ٠٠

— عم ياسين ٠٠ أريدك في كلمة ٠٠

وكان ياسين في حجرة المدرسين فقال :

— تعال ٠٠ وقل ٠٠

— لا ٠٠٠ إذا سمحت ٠٠٠ نتمشى في الفناء ٠٠٠

ورأى ياسين على وجه الصبي الذي ربه خلجات لم
يشهدا عليه قبل اليوم فقام إليه ٠٠ وقال صلاح في لجلجة :

— لا أعرف كيف أبداً ولكن أنا لم أكمل الانتخابات مع أبي ٠

— أعرف ذلك وحسنا فعلت حتى لا يفوتك شيء من الدراسة ٠

— هذا ما قلته له ولكن ليس هذا ما جعلني أترك المعركة

الانتخابية ٠٠

وصمت ياسين قليلا ثم قال :

— الحق أنا دهشت لهذا الذي فعلته ٠٠ فالشباب في منك

يحيون هذه المعارك ويسعون إليها فما الذي جعلك تترك هذه

المتعة ٠٠٩

– كانوا يهتفون لأبي ويلقون له الخطب ويدقون الطبل
والزمار ..

– ألم يسرك أن تجد أباك محبوبا ؟

– هذا هو ما أرجعنى ..

– إلا تحب أن تراه محبوبا .

– بل لا أتعنى شيئا فى حياتى قدر أن يكون أبى محبوبا .

– ألم يكن ما رأيته علامات الحب ؟؟

– بل هو علامات حب ..

– إذن ؟؟

– علامات غير صادقة .. رأيت فى العيون خوفا ورأيت
فى القلوب رعبا .. لم يكن الحب هو الذى رأيته ..

وأطبق الصمت بين المتصدئين تماما .. أما ياسين فلا
يدرى ماذا يقول .. أيقول أنه انقطع عن الذهاب الى البلدة حتى
لا يسمع ما يصنعه نسيبه بالناس .. أيروى لهذا الفتى الغض
كيف جمع أرضه وهو لم يرث عن أبيه إلا عشرها تقريبا وما ذنب
صلاح فيما صنع أبوه .. ولكن هو يعرف منزلته عند صلاح ولا
يحب أن تهتز هذه المنزلة .. من أجل مستقبل صلاح نفسه لا ينبغي
أن تهتز هذه المنزلة .. وإذا كذب عليه اليوم فهو فى غد سيعرف
الحقيقة فكيف ستكون نظرته اليه .. ربما يدرك ويقدر ولكن إذا
أحسن أن استأذنه وزوج عمته الذى كان منه دائما بمكان الوالد

يكنبه فمن يصدق اذن واين ينشد الصديق اذا لم ينشده عند
الانسان الذي يعتبره بغيريته الصافية اياه الروحي .. ولماذا
لم يوجه هذا السؤال الى عمته بل لماذا تحرى ان يأخذ في هذا
الحديث معه في المدرسة وهو قادر دائما ان يصادته في البيت
الذي يعتبره بيتا ثانيا له . او لماذا لم يسأل جدته او عمه ..
لقد خشي ان يخرج احدا منهما والوحيد الذي القى اليه بثقتيه
هو انا ..

وتقبل صلاح الصمت الطويل متصورا انه لم يستطع ان
يحسن البيان عما يجيش بصدرة .. واخيرا تكلم ياسين ..

- صلاح .. اسمع .. انك غير مسئول عن ابيك ..

- ولكنه مسئول عني ..

- ولكنك غير مسئول عنه ..

- ولكن الناس تنسبني اليه وانا ابنه فعلا ..

- هذا يجعله مسئولا عن الانفاق عليك ولكن حين تخرج
الى الحياة ستكون وحدك في مواجهتها فهي لن تعرف الا انت ..
وانى اراك تخسن اعداد نفسك لمواجهتها وحينئذ لن يقول الناس
من ابوه وانما سيتعاملون مع موقفك منهم ومع موقفك من
الحياة ومن البشر ومن الانسانية .. وحينئذ يصبح ابوك ايضا
وهو غير مسئول عنك .. انه لم يقصر في شأنك ..

- وهل المسئولية مال فقط يا عمي ياسين افندى ؟ ..

- انه اطمان انك معى وانى احسن القياس بشانك وانا
لحسن حفظه او لحسن حفظك مدرس ايضا والتعامل مع الناشئين
هو صناعتي وليست صناعته ..

- اسمع يا عمى ياسين افندى انك اجبت احسن اجابة
وانى اشكرك ولقد قلت اكثر مما توقعت ان اسمعه منك .. لن
افتح هذا الموضوع معك مرة اخرى ..

ودق جرس المدرسة وذهب المدرس الى مكان المدرس
والتلميذ الى مكان التلميذ .

توفيت نبوية واتصل خليل باخيه واخبره :

- ساقيم الماتم وانتظركم ..

- لا تقم الماتم ..

- ماذا ؟! كيف ؟!

- لقد طلبت ان يكون العزاء فيها امام بيتى ..

- امرها .. اجيء فوراً ..

- بل انتظر ..

- ماذا ؟!

- لقد طلبت ايضا ان تدفن الى جانب ابي فاعد مكانهم

وتعال لتتقبل العزاء ..

حدث انفصال سوريا وصدرت القوانين في مصر بمصادرة شركات وأموال .. وهكذا فقد خليل أغلب أمواله فقد كان يضع كل ربحه من الطب في الأسهم شأن أغلب الأطباء وكان رأيهم أنهم ليسوا فلاحين وأن عملهم في العيادات وفي المستشفيات لن يسمح لهم أن يباشروا أرضهم حتى ولو كانوا من هواة الزراعة .. فإذا أرادوا أن يبنوا عمارات فهم قد رأوا ما حل بأصحاب العمارات من أهوال فلم يكن أمامهم إلا الأسهم تعطيم عائدات دون أن تتطلب منهم مباشرة ودون أن تعرضهم لما يتعرض له أصحاب الأملاك كافة أرضا كانت هذه الأملاك أو كانت عمارات .

وهكذا لم يبق للدكتور خليل إلا أواميل وضاع عليه جهد المسنين الطويلة التي عاناها والتي كان يأمل أن يجد فيها موقفا حين يفكر ابنه وهدان في الدراسة بالخارج أو حين يأتي اليوم وتتزوج ابنته نبوية .

سبحانك يا رب .. أهذه هي العدالة الاجتماعية .. أخى الذى جمع ماله بهذه الوسائل لا يمسه شيء وأنا الذى جمعت مالى بما يرضيك أصاب بهذه المصيبة ولكنه سرعان ما نفض عن نفسه هذا الخاطر .. ان الله عادل والذى أنزل بي هذا الخراب بشر من البشر .. ولا يجوز لى أن انفس على أخى أنه لم يمس .. ولكنها هواجس نفسى وليس لى فيها حيلة .. الأمر لله من قبل ومن بعد ..

أما فاطمة وعابدة فقد أصابتهما القوانين فى دخلهما ولم تصبهما فى رأس المال فقد كان بطبيعته أقل من الخد الأدنى الذى اعفاه القانون ..

ولكن المصيبة الحقيقية هي تلك التي نزلت بعد أيام بقدرية زوجة سباعى الذى أصبح عضوا بمجلس الأمة .. فقد صدر قرار بمصادرة أموال أبناء المرحوم عز الدين الخولى وابنته .. ونزل القرار بسباعى فاجعة قاصفة .. وراح يطرق الأبواب بكل الوسائل التى يستطيعها ولكن هيهات .. لا سبيل .

ليس عجيبا أن يكون سباعى وحده هو الذى أحس بهول الكارثة فقدرية لم تكن تدبى عن الأرض شيئا وهي تعيش فى حمى زوجها وتعلم أن شيئا لن ينقصها وما كانت مطالبها تزيد عما تحتاجه حياة طيبة ليس فيها هوان وليس فيها أى بذخ .. أما المشاعر التى كان من المفروض أن تشترك فيها مع زوجها فهى لم تكن موجودة بينهما فى أى شيء حتى تجمع بينهما فى هذه الكارثة .. وبلطف من الله كانت قدرية تحس أن غنى ابنها صلاح لن يكون يعال أبيه وإنما يعلمه الذى ظل متفوقا فيه دائما . وهو فى هذا العام مقبل على امتحان الثانوية العامة وهى تريد أن يكون الصفاء مخيما على البيت حتى لا تتأثر نفس صلاح بأى عاجل خارجى ..

أما صلاح فلم يكن يعرف عن أرض أبيه شيئا وإنما هو مشغول بالعلم وبالقراءة وبالشباب وبصداقاته فى المدرسة يريد أن ينسى ما وسعه الجهد ما رأى من خوف الطباليين والزمارين والهاتفين لأبيه وأصحاب الخطب التى كانوا يلقونها فى مدحه وقد وجد بغيته بالاقبال بالحياة على الحياة .. وألقى نفسه فى دفاعها يتعلمها منها ومما يكتب الكتاب ومما يؤلف الفنانون فى الموسيقى والرسم .. ومن التاريخ الذى كان يعتبره السيرة الذاتية للحياة كتبها عنها أبناء لها منهم الصابق ومنهم المتحمس

الذى يميل به تحمسه عن الصدق الى الهوى . وكان يحلو له ان يرى تصارع هؤلاء المتحمسين ويرى كلا منهم وهو ولقّف على طرف قصى من اطراف الحقيقة وعرف صلاح التيارات الدينية والتيارات الملحدة .

وناقش كل الآراء مع عمه ياسين وكان يقبل رايه حينما ويرفضه احيانا ولكنه كان يحترم الرأى وصاحبه دائما .

وحيث صودرت اموال امة كان يدرك ان هذا لن يؤثر على حياته فى شيء ولم يكن يهمل الا ان تظل حياته كما هي حتى يتم تعليمه ثم يتفرغ بعد ذلك لما يحاول ان ينسأه مما رآه فى الانتخابات . . . فموقفه الذى اتخذه بالتباعد عما رآه فى الانتخابات وعما استشفه من حديث ياسين لم يكن الموقف النهائى له وانما كان موقف الذى يؤجل المواجهة الى اليوم الذى يستطيع فيه ان يواجه وهو قادر حتى تكون للمواجهة يومذاك قيمة ولا تكون مجرد احتجاج كاحتجاجات هيئة الأمم . . .

ولم تكتف الايام بهذه الصاعقة تنزلها بسباعى بل نزلت به صاعقة اخرى فقد صدر امر بترحيل أبو سريع الى جبل الطور مع المجرمين الذى يخشى على الأمن منهم . وراح سباعى يبذل مساعيه للافراج عنه وفى هذه المرة نجح سعيه وعاد أبو سريع الى البلدة وأمر سباعى فاستقبله الطبيب والزمر والفرح ولكن ما هي الا ايام لا تصل الى الشهر حتى جاء النبأ لسباعى ان أبو سريع قتل وهو عائد فى الليل من البندر . وحاول سباعى ان يتماسك وجعل سلام كبير مجرميه بعد أبو سريع ولكن أين الموشل من الغمر وأين التلميذ من الأستاذ .

التحق صلاح بكلية الحقوق وقد انتسب اليها عن رغبة
وليس بإرغام من المجموع فقد كان مجموعته يؤهله لأي كلية
يختارها وهناك تعرف بأصدقاء جدد إلى جانب من التحق معه
بالكلية من زملاء دراسته الثانوية .. وكانت معه في نفس
السنة عديلة .. أعجب بها منذ وقعت عينه عليها .. وما أسر
ما عرف اسمها عديلة عبد الغنى الزاهد .. ولكن في زحام الطلبة
لم يكن يعرف عن أبيها شيئا إلا اسمه أما وظيفته .. أما بلدته
.. ولكي ماذا يهمنى من وظيفته أو بلدته .. وماذا يهمنى أيضا
من عديلة .. أنها جميلة فقط .. وأنا لست قادمًا إلى هنا لأحب
فللحب أمكنة أخرى .. ولكن البيت حلوة .. وحلاوتها جعلتني
أعرف اسمها والأمر عندي ينتهي إلى هذا الجد .

ولنتظر بعد ذلك في أمر هذه الكلية التي تحمل اسمًا من
أشرف أسماء التاريخ .. الحق وهو اسم من أسماء الله الحماني
.. وإن عن اسمي معاني الحياصة أن يعرف الإنسان الحق ..
ويقف عنده .. ترى لو لم تحدث لي هذه الحادثة التافهة في أول

سنة لى فى المدرسة الاعدادية اكنت انتسبت الى كلية للحقوق ..
من يدري .. لماذا لا تريد هذه الحادثة ان تفارقنى .. اهى
حادثة .. انها واقعة صغيرة .. ولكنها فى حياتى كانت حادثة
بل هى الحادثة الوحيدة التى ارتكبتها لماذا لا تريد ان تبارحنى
.. كان ياسين افندى يدرس لى القرآن فى الليلة السابقة على
هذه الحادثة وكان يشرح لى ان السرقة حرام وان الذى يسرق
يعاقبه الله .. وفى اليوم التالى كان علينا حصة حساب بعد
الصفحة مباشرة .. وبدون اى مناسبة ذهبت الى الفصل قبل ان
يدق جرس الحصص وجلست الى الدرج اعيد النظر فى واجب
الحساب ووجدت زميلى عبد التواب تاركاً قلم حبر على ترجه ..
القلم رخيص كل الرخص .. ولكننى قلت فى نفسى سامرق هذا
القلم وأرى ان كان الله سيماقبني ام لا .. وبفكرة السرقة وحدها
اخنت القلم .. ربما لو كنت اخنته دون تفكير فى السرقة كان
الأمر قد اختلف وانما انا استوليت عليه بقصد السرقة واعلنت
هذا لنفسى .. وبدأت اوضح بالقلم ارقام مسألة حسابية من مسائل
الواجب .. امر عجيب .. القلم جديد .. فما هذا الذى حدث ..
كيف انكسر نون اى ضغط منى عليه ثم انتشرت الحبر منه على
الواجب كله حتى لم يبق فى الصفحة مكان لم ترتم عليه بقعة
حبر .. اكل هذا الحبر كان فى هذا القلم الصغير ؟

عرفت الحياة بعد ذلك وعرفت ان الله لا يعاقب كل السارقين
من الحياة فى الحياة وانما عقابهم فى الآخرة .. وجعلتنى هذه
المعرفة اوقن ان الله يرعانى بعنايته وانه انزل بى العقاب عند اذن
سرقة لى .. وهو وحده يعلم اى طريق كنت سأسير فيه لو لم
يردعنى فى بائرتى الاولى .. ام ترى من حقى الآن ان اقول فى
حادثتى الاولى والتى اصبحت اخيرة ..

هذه ما جعلنى اختار كلية الحقوق . . . ان الذين انتسبوا
اليها ممي عن اختيار قلة نادرة فأغلب زملائى فيما رعى بهم اليها
المجموع . . . لماذا . . . لماذا يرفضون الالتحاق بكلية الحقوق . . .
اترانا أصبحنا فى زمن لا حقوق فيه . . . هل ضاع فى زماننا حق
الله وحق الوطن وحق الأسرة وحق الناس . . . والا فما انصراف
الشباب عن كلية الحقوق لا يلتحقون بها الا مرغمين .

ربما جعلنى هذا التفوق فى دراستى . . . ولكن هل التفوق
على الضعاف قوة . . . ليس النجاح فى الكلية اذن هو المهم . . .
انما يوم اكون محاميا او وكيلًا للنياية واتفوق على الظلم وعلى
الجشع وعلى نفسى . . . يومئذ استطيع ان ادعى لنفسى ابنى
تفوقت .

كان صلاح حريصا على ان يزور عمه كل فترة وكان يجد
منه لقاء رحبا . وقد حرص ان يذهب اليه بعد القوانين التى
اتت على الجانب الأكبر من مدخراته وفرح بعمه وهو يجده يقوم
بعمله فى العيادة وكان شيئا لم يكن .

— المصيبة يا صلاح ليست فى حجمها وانما فى الحجم الذى
تحس به انت وفى المكان الذى تنزلها فيه من نفسك . . . وقد
علمتني مهنتي ان أرى الناس . وجدت بعض المرضى مصابا
بالأنفلونزا وهو مع ذلك هالع مرعوب كأنما هى كارثة الكوارث
. . . ووجدت آخرين من ذوى العقول الناضجة والعلم الواسع
والايمان الراسخ مسابين بأمراض تجعل الموت اليهم اقرب من
جبل الوريد ومع ذلك كنت أجدهم كالجبال الرواسي لا يحركها
شيء بل وجدت من هو سعيد فرح انه سيلقى ربه . . . فما المال

يا بنى .. أنا الذى جئت به وأنا المقادر على أن أجيء به مرة
أخرى .. وإنما قل لى ما الذى جعلك تأتي وقد اقتربت من
امتحان الثانوية العامة .

- احببت أن أطمئن عليك ..

- لفظة عظيمة منك هذه يا أبو صلاح .. أنت مصمم على
الحقوق ..

- إن شاء الله ..

- حين تعرف أساتذتك أخبرنى عنهم فإن لى أصدقاء
كثيرين فى الكلية ..

- وماذا أريد منهم ؟ ..

- أعرف همتك .. ولكن تعرفك بهم يجعلك تقصد اليهم
فى غير حرج إذا أردت شرح شيء أو التوسع فى موضوع على
كل حال التعرف بالأساتذة ينفع ولا يضر ..

- فعلا .. حاضر سأخبرك بأسمائهم .. ولكن أين أنا من
أسمائهم وأنا لم أمتحن بعد فى الثانوية العامة ؟ ..

- نجاحك مضمون وحتى أكون أكثر تأكدا تفضل بالذهاب
الى المذاكرة .. ولا أراك الا بعد الامتحان .. وأرجوك بل أمرك
أن تأتي الى فى اليوم الأخير من الامتحان لأطمئن ..

- حاضر ..

- قبل سفرك إلى الاسكندرية ..

- حاضر ..

ولم يستطع صلاح أن يجد عمه في العيادة يوم انتهى من الامتحان وسافر الى الاسكندرية وعرف النتيجة والتحق بالكلية وعرف أسماء الأساتذة وأحسن أنه تأخر عن زيارة عمه فقصده اليه بعد أسبوع من الدراسة كان مشغولا فيه بالتصرف على الحياة الجامعية الجديدة عليه .

ماذا يدبر القدر .. ما الذى اتى بعديلة هنا .. ومن هذا الذى بجانبها ؟ .. أيسلم عليها .. وكيف ؟ .. أنها تعرفه فقد رآته مدة الأسبوع كله وهو يحملق فيها .. جمع أطراف شجاعته :

- مساء الخير يا أنسة عديلة .. أنا زميلك صلاح سباعى
وهذان ..

- مساء الخير .. أهلا وسهلا .. هذا أبى ..

وقال الأب وهو يحاول أن يرغم نفسه على تقبل الأوضاع الجديدة للشباب :

- أهلا يا بنى .. مساء الخير ..

وأبى صلاح أن يفوت الفرصة :

- خيرا .. ماذا تفعلين هنا ؟ ..

- أبى متعب قليلا ..

- وهل اليك الوالد من زياتن الدكتور خليل ؟ ..

قال الأب في اختصار من يريد أن ينهى الحديث :

— نعم ..

وقال صلاح في دهشة :

— هذا شرف لنا كبير ..

ودهش الأب لحظة ثم قال :

— ما اسمك قلت ؟ ..

وابتسم صلاح وقال :

— نعم وهدان جدى هو والد الدكتور خليل وهدان ..

وابتسم الأب وأحسن بنوع من هدوء بعد بوانر ثورة من غضب :

— أهلا يا بنى ونعم الناس .. أنا أعرف عنك منذ بدأ
اشتغاله بمهنة الطب .. كنت أنا موظفا صغيرا لا أحتمل أجر
الدكاترة الكبار ودلنى عليه أحد زملاء .. ونعم الناس يا بنى ..

— سلامتك يا عمى ..

— والله يا بنى الكبد

ووجد صلاح نفسه قد نجح نجاحا باهرا فليس أحب
للمريض من أن يروى عن مرضه ويجد من يسمع له ..

لو ترك سباعي مقتل أبو سريع يمر دون أن يهتم به اهتمام
الانسان على خاصة حياته لكان معنى هذا قاصما بالنسبة له ..
فان هذا يحمل في طوابعه تهديدا مباشرا لسباعي .. والقائل
يعلمه انك لمبت عنا بعميد نقتلك حين نشاء فحياة سباعي انن
أصبحت اسهل شيء منالا ولم يكن سباعي يجب ان يموت ..
والامر الذي لا شك فيه ان مقتل أبو سريع ضياع لهيئة سباعي
واعلان انه لم يصيب مرهوب الجانب في المنطقة .

سارع سباعي الى الامور :

- ارى انكم لم تهتموا بالبحث عن قتل أبو سريع ..

وكان الامور يعرف كل شيء عن سباعي وصفة أبو سريع
به فقال له في جهاه سريع :

- هذا ليس من شأنك ..

- أنا عضو مجلس أمة ومن واجبي المحافظة على الأمن .
- الظاهر ان سيادتك لا تعرف واجبات وظيفتك وحقوقها .
- نتعلم من سعادتك ..
- بل ويعلمك تلامذتي يا سيد سباعي فالذي أعرفه عن مدى ثقافة سيادتك يسمح لتلامذتي أن يعلموك ..
- أنا عضو مجلس أمة ..
- هذا لا يدل على ثقافة ..
- وابني طالب في كلية الحقوق ..
- وهذا أيضا لا يدل على أن سيادتك مثقف .
- إذن ؟ ..

- إذن فيجب أن تعلم أن وظيفة عضو مجلس الأمة داخل مجلس الأمة فقط وليست خارجه .. وأن المحافظة على الأمن من اختصاص وزارة الداخلية فقط وإذا رأيت علينا امعالا فستطيع أن تتقدم بسؤال أو استجواب داخل مجلس الأمة .. ولكن الصلة الرسمية بيني وبينك مقطوعة تماما .

كارثة أخرى ، لم يكن رجال الداخلية يكلمونه بهذا الجفاء وهو أشد ما يكون حاجة الى هؤلاء الرجال .. وان يكن سباعي الذي طغى وتجبر قد صار متعودا أن يقول فلا يناقشه أحد فان سباعي الذي قبل يد سليمان النواوي مازال في داخله فان المجرم

البعيد عن الحق هو مع جبروته أشد الناس علما إذا واجهه الحق
أو واجهته السلطة .. والرجل الذي يتألفه الجبناء حوفا من
بطشه هو أكثر الناس خبرة بالنفاق إذا اقتضى الأمر منه نفاقا ..

وأحسن سباعى من كلام المأمور المستخف كل الاستخفاف
بمنصبه فى البرلمان أن الحكومة تريد أن تؤمم الأجرام كما أممت
الشركات والأرض .. أنها حكومة لا تريد أحدا أن يسرق أو يقتل
أو ينزل الناس غيرها هي .. هي وحدها صاحبة الحق فى السرقة
والقتل والاذلال .. وهي لا تريد أن تراعى زملاءها من الأفراد
والأقما لهذا المأمور يخاطبه بكل هذه الاستهانة ..

وهكذا لم يكن عجيبا أن يتصاغر سباعى فاذا هو قطيعة
مذعورة وما أسرع ما قال :

— ومن قال يا سعادة البك اننى قصدت اليك بصفة
رسمية .. ومن قال يا سعادة البك اننى لا أحب أن اتعلم منك
ما لا أعلمه .. أنت راجل سمعتك مثل المسك وحياة النبى ..
والديرية كلها تحبك وتعمل لك ألف حساب ..

— ياسيدى أكثر خيرك .. مادام الأمر كذلك فانا أقول لك
ما تشاء عن مقتل أبو سريع .. أعداء أبو سريع كثيرون وهم
كما تعلم جيدا مجرم محترف ..

وضغط المأمور بقوة وهو يقول كلمة « جيدا » وأصابت
الكلمة موضعها تماما من كيان سباعى وأكمل المأمور حديثه :

— له عند الكثيرين ثارات وما أكثر ما قتل وما أكثر ما
سلب ونهب ولذلك فأننا فى هذه الحصالات نعلم عظم اليقين أن

البحث عن قاتله والعثور عليه أمر يوشك أن يكون مستحيلاً ..
قد يكون القاتل أحد رجاله أنفسهم فالذي يقتل مرة يسهل عليه
أن يقتل لأهل سبب .. قد يكون أساء إلى سلام مثلاً فقتله سلام
أو قد يكون سلام طامعاً أن يحل محله في رئاسة العصاة كما
حصل ..

وقال المأمور الجملة الأخيرة في تودة وفي تفصيل واضح
فيه القصد الذي يهدف إليه وأدرك سببها الإشارة .. أولاد
المفريفة هؤلاء لا تخفى عليهم خافية ..

وأكمل المأمور كلامه :

... ولهذا فقد قمنا بكل التحريات الممكنة ولم نصل لنتيجة
لأن الذين نسألهم واحد من ثلاثة إما لا يعرف شيئاً وهذا طبعاً
لن نأخذ منه حقاً ولا باطلاً ، وإما يعرف وفرحان وهذا أيضاً
سيبالغ في إخفاء ما يعرفه ولا أمل لنا فيه ، وإما يعرف وخائف
من القاتل أن يقتله وهذا لا حيلة لنا معه .. فإذا كنت سيادتك
تعرف شيئاً وتريد أن تمدنا به أكون شاكرًا ..

— شيئاً ... مثل ماذا يا حضرة المأمور ؟ ..

— مثل أبو سريع قتل من اغتصب مال من حرق غيط من هذه
المعلومات .. ستفنعنا كثيراً ..

يا نهاز أسود من الخبر الكوبياً .. هذا الرجل يريدني أن
أقول أن أبو سريع قتل متولى أبو منصور وأحرق غيط حسن
ابن حبه الحميد أبو نيدة وهدد سليمان الغواوى. والسؤال التالي
من الذي استفاد من هذه الجرائم .. وأروح أنا في سنتين

مصيبة .. أنا غلطان من الأول أن جئت لهذا الدامية .. تنبه
سباعى الى ما يحيط به فوجد نفسه على شفا أن يكون متهما وهو
الذى جاء ممثلاً بالكبر ليعلم الداخلية واجباتها .. قال للمأمور:

- وهل تظن سعادتك أننى أعرف شيئاً وأخفيه ؟

- من جهة الظن .. نعم أظن ولكن للأسف لا دليل عندى
على الاطلاق .

- ومن أين هذا الظن ؟

- هذا عملنا يا سيد سباعى .. أن نبدأ بالظن .

مصيبة سوداء .. الرجل يهددنى تهديدا صريحا .. لا ..
القيام أحسن حاجة أعملها الآن .

- الحمد لله يا سعادة المأمور أنك تظن فقط .. وستعرف
مع الأيام أنك لست محقا فى ظنك .

- هذا ما أرجوه يا سيد سباعى .. لأن الظن فى أعضاء
مجلس الأمة الذين رشحتهم الحكومة وعملت على انجاحهم امر
لا نحبه نحن العاملين فى نفس الحكومة .

- ربنا يديم المودة يا سعادة اليك .

- هى دائمة طالما أنت مع القانون ولست ضده يا سباعى .

- استأذن أنا ..

- مع الف سلامة ..

لا أمل له إذن ان يعرف قاتل أبو سريع من الجهات الرسمية
.. لم يبق أمامه الا تحريات الخاصة وقد بدأها فور عودته .

- سلام .. اليس بينك وبين أبو سريع عيش وملح ؟

- وعيش ودم وحياتك ياسعادة البك .

- فكيف نترك قاتله بخير عقاب ؟

- اعرفه ويموت قبل أن تطرف عينه ..

- اليس من واجبنا نحن أن نعرفه ؟

- وماله .. نبحث ..

- في البلد هنا أولا .. شرف لي أين كان حسن ابن
عبد الحميد أبو ديدة وأين كان شاكِر وعبد الثواب اولاد متولى
أبو منصور .. وأين كان سليمان التواوي . طبعا هو لن يقتل
بيده وإنما اعرف لي من زاره أو هو زار من .

- يا سعادة البك سليمان لا يخرج من الدار مطلقا ..

- اعرف لي من زاره ..

- أمرك ..

أما حسن أبو ديدة فهو منذ اغتصب منه سباعى الأرض
لا يبرح مكانه يحاول أن يعرض بالعمل ما ضاع من ربيع الأندلة
.. وقد اشترى بثمن الأرض حجرة بجانبه وفتحها على للدكان
فاتسع المكان وما أن بلغ ابنه الأكبر عبد الحميد السن التى

يستطيع فيها أن يتعلم الصنعة حتى يجلسه معه وراح يعلمه
الخيطة بكل ما يملك من مهارة .. كان الطفل ذكيا واستطاع أن
يكون تلميذا موقفا لأبيه وفي نفس الوقت أرسل ناصح ابنه
الأصغر مع ابتقيه الى الكتاب وحين أتم ناصح حفظ القرآن أرسل
به الى الأزهر الشريف حتى يستطيع أن يفي بنفقاته الى نهاية
التعليم .

وكان عبد الحميد الابن الأكبر جالسا في الدكان حين جاء
مرسى الشحات أحد رجال سلام ومعه قطعة قماش :

- أين أبوك يا ولد ؟

- ما ولد هذه .. اكنت خادم أبيك ؟ ..

- ياسيدي ولا مؤاخذه .. أين أبوك ياسي عبد الحميد ؟

- ومن غير سي .. عبد الحميد كفاية .

- نهارك أسود .. أين أبوك يا عبد الحميد ؟

- في البيت .. لماذا تريد ؟

- اما عجيبه هو تروزي وانت شايخ في يدي قطعة قماش

فيم ساريد .. ويقولون عنك ناصح ..

- ناصح أخى ..

- طيب ياسيدي .. يقولون عنك فالح .

- انا اسمي عبد الحميد .

– اسمع يا بنى لو قابلت كل الزبائن بهذه الصورة فالمؤكد
انتك انت وابوك واخوتك لن تجدوا قوت يوحكم .. يا اخى قل لى
اين ابوك ؟

•• وخرج عبد الحميد من باب البيت المفتوح على الدكان ••

– حاسب على الوليد يا مرسى وهل هو قدك؟

– انت سامع الحديث ••

– من اوله ••

– ولماذا تاخرت ؟

– لم اتاخر وانما كانت فى يدي قطعة قماش انقعها ••
تحت امرك ••

– القطعة هذه اشتريتها من البندر •

– وماله •• الف مبروك ••

– اريدها جلبابا على نوقك ••

– اول مرة تاتى الى •• طول عمرك تفصل عند عطية •

– اتلف لى الجلباب الاخير فاقسمت الا اذهب اليه •

– امرك يا سيدى نفصلها لك •• خذ مقاسه يا عبد الحميد •

– خذه انت ••

– وانت لماذا لا تاخذه ؟

– يدى مشغولة •

– امرك ياسيدى •• اصل الزمن انقلب •• تفضل ياسى
مرسى ••

وبدا مرسى الحديث الذى جاء من أجله :

– المديرية مقلوبة على رجل •

– لماذا كفى الله الشر ؟

– من أجل مقتل ابو سريع •

– هل عرفوا القاتل ؟

– ابدا ••

– عجيبة !••

– والأعجب ان كل حادثة مثل هذه نسمع كلاما ربما يكون
اشاعات كاذبة انما نسمع •• اما هذه المرة ولا حتى سمعنا
شيئا •

– الناس ملهية فى مشاغلها ••

– طول عمرهم مشغولون ومع ذلك يحبون الكلام أكثر من
عيونهم • فى هذه المرة لا حس ولا خبر ••

– عجيبة !••

– ولنت كيف عرفت بقتله ••؟

- مع الناس ..
- أين كنت ؟ ..
- أنت تعرف أنني لا أترك الدكان مطلقا .
- يعني لم تسمع شيئا ..
- نهائيا ..
- طيب ياسيدي شكرا .. متى استلم الجلباب ؟ ..
- اعطني يومين فقط ..
- وهو كذلك .. السلام عليكم ..
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ..
- وانصرف مرسى والتفت عبد الحميد الى أبيه في غيظ ..
- تفصل له أيضا ؟ ..
- يا ولد اعقل وافصل لأبيه أيضا .. وافصل لسلام اذا طلب مني ذلك ..
- ليس هذا غريبا عليك مادمت ضعفت امام تهديدهم .
- يا عبد الحميد يا ابني انت تعزقني بسكين بارد كلما قلت ذلك .. يا ابني انا ليس لى أمل فى الدنيا الا ان اكون امامك وامام اخوتك رجلا قويا ..
- وهل يقبل القوى التهديد ؟

— عصبيا عنه اذا هددته من هو اقوى منه .. ماذا كنت تريدنى ان افعل ؟

— اترك البلد ..

— وهل لو كنت تركتها كنت سأحمل فدادينى على كتفى ؟

— لا اعرف ماذا كان يجب ان تفعل انما المهم الا تقبل التهديد

— انت تعرف اننى حاولت فاحرقوا المخبول وسرقوا البهائم وكانت الخطوة التالية ان يقتلونى .

— ولا عار الذل ..

— ومن كان سيربكك انت واخوتك .. اكننت اترككم تمدون ايديكم للحسنة ..

— كلما سمعت اسم سباعى زفت او شفت احدا من رجاله تركبني عقاريت الدنيا .

— مصيرك تتغلب على العقاريت .. انما يا ابنى خف الوطاة عنى . فلا شيء يقتل الاب مثل شعوره ان ابنه لا يحترمه .

— انا فقط اشفق عليك .

— وهذه يا ابنى ادهى وامر .. حسبى الله ونعم الوكيل .

حين ذهب مرسى الى سليمان النواوى قال له :

— كيف الصحة يا عم سليمان ؟

– أهلا مرسى .. عجيبة ..

– ما العجيبة ؟ ..

– الزيارة ..

– قلت اطمئن على صحتك ..

– اى مسحة التى تريد أن تطمئن عليها .. انا انتظر

عزرائيل من سنوات ولم تحاول أن تطمئن على صحتى وعزرائيل

هو الآخر تأخر فى الوصول .. تأخر جدا يا مرسى يابنى ..

– وقيم العجلة ؟

– حتى يعفنى من رؤيتك ورؤية أمثالك ياسى مرسى ..

اسمع يابنى أنا عجزت نعم ولكن بقلى كما هو رغم كل ما شغفته

فى الحياة .. أنت تريد أن تعرف منى معلومات عن قتل المجحوم

أبو سريع .. وطبعاً لا أنت تتصور ولا سيدك ولا سيد سيدك انى

سأقتله .. لم يبق الا أن أسلط عليه ولو كنت أفكر هذا التفكير

لفعلتها منذ استوليت على ارضى .. قم يا مرسى مع السلامة ولا

تضيع وقتك وابحث عن غيرى ..

– كذا ..

– وهل هناك غير كذا ؟

– أمرك .. سلام عليكم ..

كان شاكر وعبد التواب معا في الغيظ وقدم اليهما مرسى
وراه شاكر مقبلا عليهما من بعيد فالتفت الى اخيه :

- يعنى اخبطه بالفأس واخلمن ؟

وتنظر عبد التواب وهو يقول :

- من .. آه .. يا اخى اعقل .. انه قادم يظن اننا لنا
يد فى قتل ابو سريع .. اسكت انت ولا تتكلم ..

- لا اطيق ..

- اسكت انت وانا ساريحك ..

- السلام عليكم ..

وقال عبد التواب وهو يعمل فأسه فى الأرض وكأنه لا يراه:

- من غير سلام ابغ سبيك اننا عندما قتل ابو سريع كنا
فى فرح هنداوى الجملطة انا واخى واعطينا النقوط على ملا
الناس والى شاهد يشهد على ذلك .. مع السلامة يا مرسى ..

- ياسلام اهكذا من غير اخذ و لارد ؟

- وما لزوم الأخذ والرد وقد عرفت ما كنت جائيا من
اجله .. مع السلامة يا مرسى ..

- طيبه ياسيدى وهو كذلك ..

أدرك سباعى أن لا فائدة ترجى من بحثه وانتهى به الأمر الى
اللياس التام من العثور على القاتل . ولم يبق له الا أن يكون هو
على أهبة تامة حذر الموت . وتولاه شعور بالرعب لم يعسره
حياته كلها . ان لحظة خوف واحدة يصغر أمامها مال العالم
كله وسلطان الدنيا بأسرها . وخالق النفوس سبحانه هدد
البشر بشيء من الخوف رحمة بعباده أن يبلوهم بالخوف كله فان
شيئا منه أدهى من الموت ومن الفقر وكل عذابات الدنيا . ترى
أيكون سباعى بهذا الرعب الذى يتفشاه قد كفر عن جرائمه .
من يدرى . فانه وحده هو الذى يملك الغفران وهو وحده الذى
يعرف متى يستحق عبده المغفرة يمتحها له أو لا يستحقها فيحجبها
عنه .

فكر سباعى أن يقيم أغلب وقته فى القاهرة ولكن أرادت عن
هذا . فالقاهرة واسعة وقد يقتل هناك فى أى لحظة . ثم هو
لا يستطيع أن يسير فى القاهرة وحوله هؤلاء الحراس الذين
يصطنعهم هنا فى البلدة . كل ما استطاع أن يفعله أن يضع
على بابيه أضراسا مضاعفة من المراتج وأن يزيد من عدد
الخفراء . وكان يظل طول ليله لا يغمض له جفن وتظل الآلة
الأضواء تعمل لا تنى ولا تنطفئ بل لقد اشترى الآلة الأخرى لتضئ
إذا أصاب المعطب الآلة التى تعمل . ولا ينسى طول الليل ينادى
أسماء الخفراء الواحد بعد الآخر ليكون على ثقة أنهم أيقاظ
فلا ينام الا حين يأتى الصباح .

السنوات الخضراء من الشباب حين يكون للحب جناحان
يخلق بهما الانسان في سماوات سماوات عن الدنيا ، قصيات عن
الأرض ، رفيعات عن الدنيا . هناك يحس الشباب ان الهوى لم
يخلق الا له وان الله سبحانه وتعالى يرسل به الى الأرض تفحات
من الجنة تعين الانسان على مرور الحياة وعلى تكاليف البشر
وعلى اشتباك المصالح وعلى الكذب وعلى الغش وعلى خداع
الصديق وعلى حضيض الناس وانعيازهم الى خلق الحيوان
وتنكرهم للانسانية التي جعلهم الله بها سادة الخلق أجمعين .

بالحب يستطيع الانسان ان يكون سيد المخلوقات .. بهذه
الخفقات المجنحة العريضة الآمنة .. السعيدة المقلقة .. الباسمة
القطيعة .. الآملة اليائسة .. الراغبة العازفة .. المقدمة عن
رعونة المحجمة عن حذر .

بالبحث عن الكلمات فإذا هي في تيه عن الشاعر أغلقت
عليها المسالك لا تدرى أين سبيلها الى الشفة لتعبر عن حب

صاحبها • باللعثة واللسان فصيح ولكنه يتوء بما لا يطيق من
احمال الحب • فاذا به - وهو المنطلق القؤول - مقيد مكبول واذا
الفجوى صمت واذا الحديث نظرة واذا الحياة نشوة يطمسها
الحديث المعلن ويشمشمسها الفم الصموت •

عرفه صلاح وعرفته عديلة • بلمسة يد باهتسامة عند لقاء
فى الصباح او لقاء فى المساء •• بكلمات يهمن على شفاه
صلاح ويقف بهن جلال على وجه عديلة •

انه الحب البكر لقلبين مخلوقين من نساء الناس دون
صلايته ومن طهارة الملائكة ممتزجة بخلجات الانسان وشفافية
البلور وقد سرى فيه نبض البشر ومن نور الأمل فى المستقبل
طليقا من قيود الزمن •• أحس كل منهما عند صاحبه ما كانا به
فى غناء عن التصريح •• وكان الحديث يجرى بينهما رخاء وفى
غير الحب كان الحديث •• لقد اتفق كل منهما مع الآخر دون قول
منهما ان أي حديث هو أصغر من الحب لكنه كل منهما لحبيبه
والمكان الذى يعرفه كل منهما لنفسه عند هواه •

سألته يوما :

- هل أنت اخوان ام شينوعى ؟

- أنا مصرى ••

- اذن فانت من الأغلبية ••

- وانت ؟ ••

- ماذا تظن ؟ ••

– مصرية ٠٠ لهما دينا وقلبا وروحا وجسما ومشاعر
وأخلاق وآراء ٠٠

– لما ان يكون المصرى كذلك او لا يكون .

– ولكن ألم تفكر ان تنضم الى هؤلاء او اولئك لتعرف ما
يفكر فيه كل من الجانبين ؟

– صادقت من هؤلاء ومن هؤلاء وحاول كل من الجانبين
أن يضمنى اليه ررفضت ٠٠

– لماذا ٠٠؟

– لا اريد ان احكم العالم ولا اريد حتى ان احكم مصر بل
ولا اريد ان احكم احدا على الاطلاق ٠٠

– لماذا تريد أن تكون ؟

– انسانا ٠٠

– الست كذلك ٠٠؟

– ليس بعد .

– فما الانسان عندك ٠٠؟

– أن أحب كل الناس حتى المخطئين ٠٠ ولا أحتد ٠٠ وأن
أعطي اذا ملكت العطاء ولا أنتظر على العطاء شكرا لأن العطاء
نفسه يمنح العطاء سعادة لا يبحثها في القلب كل شكر العالمين .

أريد أن أرى جمال الحياة وأحاول بكل جهدي أن أهون اليأس
فيها على البائسين .. أريد أن يظل إيماني بالله وبالخلق وبالصدق
وبالقيم ثابتا لا تزعمه الأهوال التي أعلم أن الحياة ستواجهني
بها .. أريد أخيرا أن أكون وأنا في طريقى إلى الله سعيدا أننى
سألقاه .. وأنت ..

لم يسمع جوابا ورأى الدموع تجري مدرارا على وجنتيها
وكانت توقفت عن السير فتوقف وهو يتحدث دون أن يسألها عما
دعاها للوقوف .. أسعده يكاؤها ومد يده ومسح دموعها في
هواذة محب مشفق ، وفي ضغط شاب فتى وابتسم وقال :

— لقد أجابت دموعك عنك أنت تريدان أن تكونى مثلى .

كان صلاح يؤدي امتحان النقل من السنة الثانية في كلية الحقوق إلى السنة الثالثة حين ضرب جرس التليفون في بيتهم وقال خليل :

— صلاح أنت تذاكر هذه الأيام ؟

— نعم ..

— اذن اسمع .. اخر يوم امتحان تعال فلانا أريدك في شيء مهم جدا ..

— خير يا عمي ..

— وهل تظن ان عمك يقدم لك الا خيرا ؟

— ولكن سعادتك شغلتنى ..

— وهل تظن انه لو كان هناك ما يشغل كنت طلبتك وانت تمتحن .. شيء اخر امتحان عندكم ؟

.. غدا ..

.. اذن تعال غدا .. واطمئن ستفرح جدا .. اظن ذلك
على الأكل ..

وحين ذهب صلاح الى عمه في اليوم التالي كانت اللفتة
تحيط به وكان عمه مشغولا بالكشف على مريض فازداد به القلق
حتى اذا خرج المريض دخل دون استئذان وقال دون سلام :

.. ماذا هناك يا عمي ؟ ..

.. العمد ..

.. ماذا هناك والنبي ؟ ..

.. اسمع ياسيدي .. لقد خطبت لك ..

.. ماذا ... من ؟ ..

.. هل اعرفها ؟ ..

.. وهل من الضروري ان تعرفها ؟

.. اسمع يا عمي .. انا خاطب فعلا وانا اعرف حبه لى
ولذلك ارجو ان تكون خطبتك بمجرد تجسس نبض .. انا خاطب
فعلا ..

.. من ؟ ..

.. فتاة زميلتى ..

— اسمها عديلة ؟

— ماذا ؟

— وابنة عبد الغنى بك الزاهد ؟

— كيف عرفت يا عمى ؟

— الله يكسبك .. أعرف منهم ولا أعرف منك ..

— ماذا تقول ؟

— لقد جاءت الى هنا وقالت ان كثيرا من الخطاب تقدموا لها ورفضتهم ولكن تقدم اليها اخيرا شاب مهندس لا عيب فيه وأبوها يريد ان يزوجها منه على رغم انها وطلبت الى ان أرجو اباهم الا يرغبها ..

— وماذا فعلت يا عمى ؟

— سألتها عن سبب الرفض فأصرت ان تصمت ولكنها أخيرا قالت انها لا تريد ان تخرج عن طاعة أبيها ولكنها لن تتزوج هذا المهندس .

— وبعد يا عمى وبعد ..

— طلبت اليها ان تنتظر في غرفة الاستقبال وطلبت اباهم في التليفون .. فاذا الرجل ينفجر .. ألم تفكر يا دكتور ماذا اختارتك انت بالذات ؟ قلت اعتقد انها اختارتنى لأنها تصرف مكانتى عنده .. قال ياسيدى مكانتك على العين والرأس ولا شك

فيها ولكن لها اعمام ولها اخوال وكان من الطبيعي ان تلجأ
لواحد منهم ، وتنبهت الى هذه الحقيقة متأخرا يبدو اننا
عائلة غبية يا ولد يا صلاح ، سألت عبد الغنى ماذا اذن .. قال
ابن أخيك يا سيدي .. ماله ؟! قال متحابان وهي لا تريد الزواج
من أجل خاطر .. ريك والحق يا ولد يا صلاح فرحت بك قلت
وانت ما المانع عندك .. قال المانع بسيط جدا انه لم يتقدم اليها
وهؤلاء العرسان تقدموا وكلهم شبان ممتازون واحسنهم هذا
الشباب الاخير .. ما رأيك .. قلت له اذن يا عبد الغنى فانا
أخطب ابنتك عديلة لابن أخى صلاح .. قال الا تسأله .. قلت
انى أعرف الجواب .. قال اذن وأنا قبيلت .. قل للبت انها لن
تتزوج الوقت المهندس ولا تقل لها شيئا عن الخطبة حتى تتم رسميا
قلت حاضر ..

وقف صلاح عن كرسيه وراح يقبل عمه ويحتضنه ويصيح
.. الله يطيل عمرك .. الله يخليك .. وقال خليل :

– والآن قل لى ماذا فعلت فى الامتحان ؟ ..

– قل لى انت اولا كيف عرفت اننى سأقبل هذه الخطبة ..

– عجيبة .. الا تعرف ان لى اصدقاء كثيرين بين أساتذتك؟

– وكيف عرفوا ؟ ..

– لماذا يعتقد الشباب منكم ان الشباب لم يعرف الا جيله

وحده .. كانوا هم ايضا شبابا وكانوا فى الجامعة ولا تفوتهم
الفائنة ..

– للمجيبة اننى مع عديلة كل يوم ولم تقل شيئا عن هذه
الحكاية مطلقا ..

– اولا ماذا تريدنا ان نقول لك .. تعال اخطبني .. ثانيا
هى لا تعرف اننى خطبتها من ابيها ..

– والبنت التى ترفض ان تذكر لى شيئا عن خطابها ليست
جديرة بالحب ..

– فعلا هى جديرة بالحب وبالعجاب ولو افنا نحن احببناها
اولا والآن تفكر فى حيثيات الحب اليس كذلك يا نصف المتر .

– وهل تظن ان ابي سيقبل ان يخطب لى وأنا نصف متر ؟
.. غصبا عنه ..

.. كيف ؟

– ان كان عليه هو يريد ان يزوجه من يوم دخولك الجامعة
وأنا الذى كنت أستمهله ..

– هل كلمته ؟

– وسيكون هنا غدا .. اذهب انت الآن للى والدتك واخبرها
بكل شيء حتى لا تفاجأ ..

وجاء سباعى وطلب الى أخيه خليل ان يشتري له الشبكة
المناسبة وما هى الا ايام حتى تمت الخطوبة وأعلنت واتفق الجميع
على ان يكون الزواج بعد الليسانس مباشرة .. وكانت أم عديلة
متوفاة ولهذا لم يكن عجيبا ان يهمس عبد الغنى فى اذن صلاح :

.. تعال يا ابني اريدك في كلعتين ..

قام صلاح مع والد خطيبته وذهب به الي غرفة نومه :

.. اعرف ان الكلام في هذا سنابق لأوانه الا انني ياابني

لا أحب القلق ..

.. تحت امرك يا عمي ..

.. انت ترى أنه ليس لي في الدنيا الا عديلة .. امها تركتها

لي من خمس سنوات وانا كبرت ولا أستطيع أن أعيش وحيداً

أيكون هناك ائقال عليك لو عشت معي في هذا البيت ؟

.. انا تحت امرك ولكن لي رجاء واحد عندك ..

.. قلہ

.. ان أساهم في مصاريف البيت ..

.. في بيتي ؟

.. وهل ترضى لي أن أعيش عائلة عليك ؟

.. انا قبلت ..

.. وانا قبلت ..

.. على بركة الله .. انن ربنا يهنیکم يا ابني ان شاء الله ..

كان صلاح قد انتهى من امتحان الليسانس ولكنه بقي في القاهرة في انتظار النتيجة ولم يسافر الى الاسكندرية .. وكان يتهيأ للنزول ليذهب الى عديلة شأنه في كل يوم حين دق جرس الباب واذا القادم عمه خليل .. وفوجيء صلاح بعمه يحتضنه على الباب ويصيح :

— جيد جدا .. ألف مبارك ..

وزهل صلاح :

— احقبا ؟ ..

— كلمنى الآن الدكتور عبد الوهاب رفاعى .

— استاذ الجنائى ..

— ورئيس الكنترول ..

— وعديلة ٠٠؟

— جيد ٠٠

— يعنى نجحت ٠٠

وقبل ان يكمل الحوار انفجرت زغرودة من حيث لم
يحتسبها ومن حيث لم يتصورها ايضا . لقد كانت قنرية بمسمع
منهما ٠٠ والتفتا اليها في فرح فاذا هي تطلق زغرودة اخرى
وترقى على الكرسي . ويجري اليها ابنا وعمه وتقول لاهثة :

— ندر على وأنا اوفيه ٠٠ ما فعلتها في حياتي ولكنى كنت
اتمرن عليها كل ليلة منذ دخلت الحضانه ٠٠ انا يابنى لا احب
الحياة الا من اجلك ٠٠ انت حياة حياتي ٠٠

وراح صلاح يقبل يدها ووجهها ويشرب صادق دموعها
النهمة ٠٠ وهي تقول وكانها تكلم نفسها :

— لقد جئت مصر من اجلك وأنا لا اعتبر ان لى زوجا منذ
رزقنى الله بك ٠٠ لم افكر فى شيء لنفسى طول حياتك لا فكرت فى
فسحة ولا فى فستان ولا فى شيء حتى ارضى حين اخنوها منى
قلت فى ستين داهية ماذمت انت فالحا فى مدرستك ٠٠ ولو
العاك ما ذهبت عمرى الى السينما . التليفزيون لا يفتح ماذمت
اقت تذاكر . عمرى كله كان ينتظر هذه اللحظة فلا تعجبوا ٠٠
انها لحظة عمرى . منذ اليوم أنا لا اريد شيئا . انا ابني معاه
الليسانس وكل شيء بعد ذلك لا يساوى شيئا . حتى فى يوم
فرحك لن ازغرد . فرحانة نعم ساكون . ولكنى لن ازغرد . هي

مرة • ولن تعود • ابني معاه الليسمانس • شربات يا أم السعد
شربات يا هنية • شربات للعمارة كلها •

ان حب الأم لابنتها أمر ليس غريباً على صلاح ولا هو بغريب
على خليل ولكن الذي دهشنا له ان قدرية الصموت المستسطة
دائماً الجادة تزخر بكل هذه المشاعر ولا تبين عنها الا الآن •
تركيبة عجيبة هذا الانسان •• حتى اقرب الناس اليه لا يعترف
الاعماق الحقيقية التي ينطوى عليها كيانه •

قال خليل :

— انت وعديلة عندي على العشاء الليلة • وكلم اباك •

وقبل ان ينزل خليل قال له صلاح :

— نجىء لك فى العيادة أم فى البيت ؟

— على البيت مباشرة واذا تأخرت انتظرانى •

— وهو كذلك ••

رسارع صلاح الى عديلة وبشرها بمشهد من أبيها ومن هناك
طلب ابيه فأخبره فاذا بصوت ابيه يأتية فى التليفون :

— اسمع يا استاذ •• بعد غد انت وعروسك والبيك والدها
وعمك وزوجته وعمتك عابدة وزوجها وعمتك فاطمة وزوجها كلكم
مدعرون مع اولاد الجميع على احتفال عندنا هنا فى البلد بمناسبة
تخرجك •• سامعنى ••

.. - خذ سعادتك كلم عمى عبد المغنى ..
قبل الرجل الدعوة ونزل سلاح مع عديلة ولم ينتظرا ان
يركبا السيارة وانما قبلها على السلم واذا هي تضربه على خده
ضربة اقرب الى التربيث وهي تقول :

.. - يجرب عقلك ..

.. - ماذا ؟ اذا كنت جيد فانا جدا ..

.. - وما شان الناس بهذا ؟

.. - انهم يحبون ان يروا خطيبا يبوس خطيبته ..

.. - ولكنهم مع ذلك يدعون الغضب ..

.. - وانت ما الذى يهيك الحقيقة ام الادعاء ؟

.. - يبدو أنك ستكون أنت فى الادعاء فالغالب انك ستدخل
النيابة ..

.. - او اكون استاذا فى الكلية ..

.. - ماذا تريد أنت ؟

.. - لم احدد بعد ربما رفضت هذا وذاك ونكرت فى الحمامة ..

كانا قد ركبا السيارة وسارت بهما وقالت عديلة :

.. - الى أين ؟ ..

.. - الى صاحب الفضل الاول على ..

.. - الأستاذ ياسين ؟ ..

.. - كان يجب أن يعرف قبل أبى ..

كان سباعى حريصا دائما أن يحضر كل بقرة أو جاموسة عنده تلد . وتلك خصيلة صحبته وسحبها منذ كان طفلا فى رعاية أبيه . وقد ظلت فرحته بولادة البهيمة التى كان يحسبها وهو ذلك الطفل كما هى لم تتغير ، وأن كان فى طفولته يساعد الكلاف إلا أنه كف عن ذلك منذ شب عن الطوق وأصبح يشرف على زراعة أبيه ، وهو اليوم يضع كرميا ويجلس قريبا من الذين يقومون بتوليد البقرة أو الجاموسة حتى تتم الولادة فينصرف الى البيت . وكان فى جلسته هذه ينسى كل مشاغله التى أصبحت حين كبر مخاوف ولا يفكر إلا فى مولد العجل أو العجلة أن كانت الوالدة بقرة والفحل أو الفحلة أن كانت الوالدة جاموسة . وكانت البلدة كلها تعرف عنه هذه العادة . فعادات كل أبناء القرية معروفة لبعضهم البعض ، فالقرية مهما اتسع إنما هى بيت كبير كل انسان يعرف كل شئ عن كل انسان فيها فما الشأن إذا كانت تلك هى عادة أغنى أبناء القرية وكبير طغاة المنطقة .

وقدر الذين يجسمون اليهائم وهم أطباء الولادة بالقرية أن الجاموسة المفضلة عند سباعى ستلد فى نفس اليوم الذى حددته للاحتفال بحصول ابنه على الليسانس .

وفكر سباعى قليلا ثم قال لمحدثه الذى سبقوم بتوليد
الجاموسة :

— اذن فاسمع .. عليك أنت أن تظل الى جانبها لا تنتقل
وحين تحس أن الموعد اقترب ارسل لى أجيء اليك . وسيكون
المدعون كثيرين ولن يلتفت أحد لغيابى .

وحل يوم الاحتفال ولم تكن الجاموسة قد ولدت بعد وتقاطر
المدعون وكان سباعى لم يترك احدا الا دعاه وفى المقدمة المحافظ
ومدير الامن والامور وأعضاء مجلس الأمة والعمد والأعيان .
لقد أراد أن يعلن للجميع أن سباعى الذى لم ينل شهادة استطاع
ابنه أن يحصل على الليسانس وبدرجة جيد جدا . الوحيد الذى
كان يجب أن يكون موجودا ولم يدع هو شعبان غما كان الى
دعوته من سبيل فقد كان قد سافر الى صوره الأمير مع زوجته
وأولاده وأقام هناك اقامة غير عائد .

وجاء المحتفل به ليرى القرية التى لم يكن زاها منذ كان
صبيا يافعا سعى الى القرية فرحا ليشهد الانتخابات وانصرف
عنها مصطحبا الحيرة والقلق مما رأى فى أعين الرجال وهم
يحتفلون بأبيه .

جلس صلاح بين القوم وراح ينظر .. لم تكن عديلة معه
فقد ذهبت هى وأمه وعماته الى مكان الحريم . فالريف لم يعترف
بعد باختلاط الجنسين . رأى فى عيون القوم المدعويين وفى جباههم
تعبيرا آخر غير الذى شهده من الناخبين . هؤلاء لا يخافون أباه
ولكنهم أيضا خائفون . كلهم مرتعد فى داخله تتضح الرعدة فى
حديثه .. فالحوار يبدأ ولكنه ينقطع من تلقاء نفسه اذا أرى الى
موضوع عام . وكل حوار بين الرجال لايد أن يؤدي الى موضوع
عام .. ولكل منهم رأى وربما كانوا متفقين جميعا على رأى ولكن
هيات لرأيهم أن يعلن أو يخرج من منطقة الهمس الداخلى الى
منطقة الحديث .. أشدهم رعبا المحافظ ويلييه مدير الأمن ويلييه
الأمور . ويعجب صلاح كيف يحافظ على الأمن من لا أمن له .

كيف يكون مستغفلاً عن أمن الناس وهو نفسه غير آمن على نفسه • ويل للناس إذا خاف الناس • ويل للناس كل الويل إذا كانت نفوسهم تخاف من نفوسهم •

أما أعضاء مجلس الأمة فهم يتلهون بكل حديث فارغ ويختارون طريق الحديث حتى لا يصل بهم إلى ما يرهبون • وقد وجد بعضهم في الاجتماع فرصة ذهبية يقترب بها إلى العمد والأعيان فكل نائب فيهم ليس يدري الانتخبات القادمة متى تكون •

حابل ونابل كما يقول العرب وقوم يجتمعون وينقضون يقولون الكثير من الكلام ولا يقولون شيئاً • وصلاح ذاهل واع مندهش مفكر • لا يفوته شيء مما حوله • وتزيد قوة الملاحظة لما ورفضاً • وخلا باستانته ياسين :

— هؤلاء ناس •

— مجتمعك •

— اكانوا كذلك دائماً •

— المجتمعات التي عرفتها حين كنت في مثل سنك لم تكن متعرضة لما يتعرضن له هؤلاء •

— ليس فيهم رجل •

— كلهم في داخلهم رجال ولكن الارهاب يطمس الرجولة فالتمس لهم العذر ولا تعنف بهم في حكمك •

— ماذا تقول أنفسهم •

— ان كان لك عند الكلب حاجة قل له يا سيدي

- وماذا لهم عند الكلب .
- الحياة .
- الموت خير منها .
- ناس من يقول هذا أو يشعر به .
- تهون الحياة مع النمل .
- ومع ذلك فهم يرون انفسهم على كرامة
- من اين يأتيهم هذا الشعور .
- كل منهم لبعض الناس عندهم حاجات .
- فكلهم كلاب .
- ويجدون من يقول لهم يا سيدى .

وانقطع الحوار وهوم الصمت الذاهل فقت انطلقت فى
اسماع الحاضرين ثلاث رصاصات .. ارضاص والمجافظ والمدير
والأمور ورجال الامن جميعا هنا . ما هذا .. ما هذا .. ما
هذا .

وجاء الجواب .. قتل سباعى .. من القاتل ؟ .. سلم
نفسه . من هو ؟ .. حسن عبد الحميد أبو ديدة .. من حسن
عبد الحميد أبو ديدة ؟ !

كان كل ما عني به الأمور ان يحافظ على حياة القاتل وقد
تمكّن من ذلك وصحبه الى المديرية . وانقلب الاحتفال ماتما
وتحقق بيت شوقي :

واذا نظرت الى الحياة وجدتها
عرسا اقيم على جوانب ماتم

وكان اول ما صنعه صلاح بعد ان انفضى معظم الناس أن
يعجل بسفر خطيبته وابيها . وحين حاولت عديلة البقاء معه
اصر على سفرها في حسم لم تشهده منه قبل اليوم فاضطرت الى
السفر .

اقيم الماتم في اليوم التالي . ولكن صلاح لم يكن يطيق
انتظارا لقد رأى داخل الناس وكانهم يقولون : غمة وانزاحت .

انتحى جانبا بياسين :

- اتعرف شيئا .

- اعرف كل شيء ولا اعرف شيئا .

- إنذكر حديثنا في فناء المدرسة .
- وكيف أستطيع ان أنساه .
- الا تعرف على الأقل من أستطيع ان أسأله .
- نعم اعرف .
- من .

- اكبراهل البلدة سننا .. عمك سليمان للنواوى كان
ضديق جدك الصدوق ولن يكذبك .

روى سليمان النواوى كل شيء . لم يخف عنه خافية وحين
اتم حديثه قال صلاح :

- هل معك العقد الذى فرضه عليك ابى .

ونادى سليمان ابنه وامره ان يأتى بحقيبة اوراقه ..
واخرج سليمان العقد دون جهد وقدمه الى صلاح . قراه ..
ثم التفت الى الابن وطلب منه ورقة بيضاء وصدع الابن باطلب
وقال سليمان :

- ماذا ستصنع .

- اكون انا .

ولم يزد . وجاءت الورقة وراح صلاح يكتب ونقل بعض
اشياء من العقد القديم ووقع الورقة .. واعطاها لسليمان وقام
وهو يقول :

- سلام عليكم .

- انتظر .. اتعد .. ما هذا .

- لقد انتهت مهمتى .

- أنت فانتظر ربما كانت لى مهمة انا الاخر .
- أمرك .. انتظر .

وقرا سليمان الورقة ووجدها عقد بيع من صلاح بالأفدنة
المسنة خالصة الثمن وفهم أنه كان ينقل الحدود من العقد الاول
وجرت دمعتان على خدى سليمان وهو يقول :

- عجيبة .

وقال صلاح : ما العجيبة ؟

- بل عجائب .

- ماهى العجائب .

- العجيبة الاولى ان عينى مازال فيها دموع ولم تحجرها
السنون والثانية. أن تكون أنت ابن سباعى وامك من أشرف الناس
ولا شك أنك ابنه فتلك عجيبة أما العجيبة الثالثة أن عزرائيل تأخر
عنى طول هذه المدة وأنا لا ادرى السبب . واليوم دريته .

- والآن اتسمح لى .

- بل انتظر .

- ماذا ؟

- الغلوس التى ارسلها الى ابوك .. لم امسها .. كما
هى وهى هنا فى هذه الحقيقية .

- لا تلزمنى .

- امثلنى يقبل الصدقة .

- استغفر الله وانما الذى قدرته قلته أنت الآن .. لو كان
أبى صنع هذا معك وأنت تاجر فربما كنت تاجرت بالمال وكسبت
منه أما وقد فعل ما فعل بعد أن توقفت أنت عن التجارة فهذا معناه
أن المال بقى عنك ولم يصنع شيئاً ولا شك- أن نفسك عزفت حتى

أن تشتري أرضاً أخرى .. فالربيع الذي أخذته أبي من الأرض
حقلك فليكن ما أرسله لك من المال مقابل هذا الربيع .

- منطق قد يقبله غيري .. فقد كنت أستطيع أن اشتري
أرضاً أخرى وكنت أستطيع أن أجعل زميلاً لي في التجارة أو
واحداً ممن علمتهم التجارة يتاجر لي . فإبقاء المال بلا عمل خطأ
اخترته أنا ولم يفرضه علي أبوك . والأرض اليوم ثمنها أضعاف
أضعاف ثمنها يوم اغتصبها مني أبوك ودفع فيها نصف الثمن .
فإذا كنت تريدني أن أقبل الأرض فأقبل أنت علي الأقل ما دفعه لي
أبوك قسراً . انه أرغمني علي البيع بثمن بخس فأثل كرامتي
فلا ترغمني أنت علي الشراء بلا ثمن وتزيد كرامتي ذلاً .

- لا وإش فما لي هذا قصدت .

- إذا أردت أن تبيع ضميرك فأرح ضمير الناس وأطال
الله عمرك وثبتك علي ما أخذت به نفسك وأعانك عليه فإن من كان
في مثل عدلك سيلقي الكثير من المتاعب . خذ الفلوس .

- أمرك .. سلام عليكم .

- مع الف سلامة ا

ذهب صلاح الي بيت شاكر وكان ما صنعه صلاح مع سليمان
النواوي قد ذاع في القرية كلها فرحب به شاكر فقد أحس أن
القادم اليه انسان .. قال صلاح :

- اين اخوك عبد التواب .

- في بيته .

- ارسل اليه من يستدعيه .

وجاء عبد التواب وبدأ صلاح :

.. حياة الانسان لا يساويها شيء في العالم . ولكن الله وحده هو القادر على ان يبعث الحياة ولا يد لى في هذا . وكل كلام للمزاء في ابيكما لا يجدى فلا عوض عن الأب ولكنى انا اريد ان اعيش وببيدك أنت وافوك هذا ان تسمحا لى بان احس اننى فعلت ما يجب على ان افعله فى اضعف مسورة فاستطيع ان اعيش .

وقال عبد القواب :

- .. ما المطلوب منا يا استاذ .
- .. لا شيء الا ان تقبلنا هذا العقد .
- .. وماذا فيه .

.. بيع باسمك واسم اخوتك منى للافدنة الخمسة التى كان يزرعها ابوكم .

ويهت الاخوان وقال شاكر :

- .. والتمن ؟
- .. العقد خالص والتمن وصل .

وقال عبد القواب :

.. لا يرد الكرامة الا لثيم .. كان غيرك يستطيع ان يقول ما شافى بما فعله ابي ويبقى الارض .

- .. ولكنى انا لا استطيع .
- .. انى فانت جدير بالشكر .
- .. بل الشكر لكما ان قبلتما .. السلام عليكم .
- .. السلام ورحمة الله وبركاته .

.. ١١١ ..

(م ١١ - احلام فى الظهيرة)

تردد كثيرا ثم جمع اطراف شجاعته وذهب الى عبد الحميد
ابن حسن قاتل ابيه • وجزع الشاب وهو يراه واقفا على راسه في
الدكان وانتفض واقفا وبيده المقص وهو يقول :

- ماذا تريد ؟
- رد السلام أولا •
- ومن اين ياتي السلام •
- يا اخي ابوك قاتل ابي وانا الذي جئت اليك •
- من اجل هذا اعجب ماذا تريد •
- كل خير ان شاء الله •
- لم تر الخير منكم مطلقا •
- صدقت ولكن من يدري ماذا في داخل الايام القادمة ••
- رد السلام •
- وعليكم السلام •
- اقعد •
- تقعد •
- خذ هذا •
- ما هذا •
- انا اعرف انك تعلمت القراءة والكتابة •
- وقرأ عبد الحميد :
- اهذا معقول •
- نعم •
- ليس معي ثمنها •

– ألم تقرا العقد •

– نعم ••

– ماذا فيه من الثمن •

– انه خالص •

– وهو خالص •

– هذا كثير •• هذا كثير ان ابي قتل اباك عن اجل هذه

الامنة الثلاثة

– والان وقد مات ابي فلنترك الأيام تصنع ما عندها ••

ويؤدى كل منا واجبه •

وانفجر عبد الحميد عن بكاء عالى النحيب وراح صلاح

يربب كتفه •• وقال عبد الحميد :

– انا الذى جعلته يصنع ما صنع •

– أنت ؟

– كنت دائما اعيره انه قبل النل •• وكان يقول اننى اقلته

كلما قلت له هذا •• قال لى عندما زرته فى السجن : ثلاث

رصاصات عن كل فدان رصاصية •• قل لاولادك جسدكم لم يكن

ذليلا •

– هل وكلت عنه محاميا •

– لا ••

– وهل معك اجر المحامى ؟

– سألته ••

– خذ هذا المبلغ وتسمع نصيحتى فى اختيار المحامى ام

تظن اننى اعشك •

• اتقدم لى كل هذا وتغشنى •

• اذن فاذهب الى القاهرة وركل الدكتور عبد الوهاب
رفاعى استاذ القانون الجنائى فى كلية الحقوق •• وهذا عنوان
مكتبه •• سلام عليكم •

• نعم •• الآن السلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

وبقى صلاح فى البلدة يعيد الى كل من اغتصب منه ابره
ارضا ارضه او يعيدها لأولاده ، منهم من يرد الثمن ومنهم من
لا يرد حتى اذا اطمان ان لم تبقى ارض لم تعد لصاحبها او لورثته
سافر الى القاهرة •

• وهناك ذهب الى عمه الدكتور خليل •

• هكذا تكون النهاية موت فى حظيرة بهائم •• فى الجذر
مكان فى القرية بل ربما فى العالم •

• انه مجرد جسد ارتقى فى القذارة وعند الموت تستوى
الامكنة •

• وربما كانت روحه قد صنعتت وهى تحمل من القذارة
اكثر مما ارتقى عليه جسده •

• هذا ليس شأنك •

• انا ابنه •

• ولكنه أصبح الى من لا ينفع عنده مال ولا بنون •

• واكمل صلاح :

• الا من اتى الله بقلب سليم •• او كان قلبه سليما ••

• ومن هذا الذى يستطيع ان يطلع على القلوب •

• الذى لا ينفع عنده مال ولا بنون •

- فهذا شأنه اتركه له .
- ياليتنى أستطيع .
- أنت قمت بواجبك بعد وفاته .
- ليس بعد .
- ماذا بقى عليك .
- هناك انسان سيقتل .
- انه قاتل . . هذا حق المجتمع .
- وحقى . . الست ولى الدم .
- وماذا تريد أن تفعل .
- رفعت الدعوى المدنية .
- اتريد عوضا عن أبيك .
- أريد الحق أن يأخذ مجراه .
- لا أفهم شيئا .
- لكل شيء وقته .
- بلغنى ما فعلته فى البلد .
- لم يبق أحد لم أرد حقه الا سعادتك .
- أنا ليس لى حق .
- سنعرف الآن .
- كم بقى لك من أرض .
- اربعون فدانا .
- لا بأس .
- ستصبح الآن عشرين تقريبا .

- لماذا ؟
- أرضك وأرض جدتي
- أرضي أنا .
- نعم .
- مالها .
- لا بد أن أردّها إليك .
- لماذا وهل بيعتها قسرا أنا الآخر .
- لو لم يكن أبى على ما كان عليه ما بعث أرضك .
- اكذب لو قلت لك أن هذا كان تفكيرى .
- بل تريد أن تبقى فى ملكى أرضا ليست من حقى .
- كان أبوك لا يتأخر عن دفع الأيجار وكنت أستطيع أن أبقى الأرض تحت إشرافه لو أردت ذلك ولكنى بعث الأرض بمحض اختيارى والثمن كان مناسباً لهذه الفترة .
- عمى أنت تعرف العباء الذى أحس به على ضميرى .
- وواجبى أن أخطفه عنك ولكن أتريد أنت تخطف من عبئك لأحمل أنا عبئا أشد . اغشك . . اغش ابنى . . أى ضمير يقبل هذا .
- هل أنت واثق .
- كل الثقة .
- فأرض سقى إذن .
- هى الأخرى باعتهامختارة .

– لقد رأيت ستي وهي تعيش معك • كانت الحسرة تملأ نفسها الى يوم وفاتها لانها تركت البلد وبيتها •• لا •• لولا ابي وما فعله ما تركت ستي البلد ابدا •

– واقترض •• ولكنها باعت الأرض باختيارها •

– اهذا اختيار •• انه الارغام ذاته •• على كل حال انا قررت أن أتنازل عن أرض ستي لعمتي عابدة وعمتي فاطمة •

– وأنا قبلت عنهما هذا وقبلت هذا لك ، فان من واجبك أن تكرم عماتك ، وفعلا كلتاهما تحتاج الى ما يعينها على الحياة ، وأنا أعمل ما في طاقتي وأحب لك أن تكون بجانبى فى رعايتهما •

– انن •

– عندى توكيل منهما •

– وهذا عقد بيع خالص الثمن لهما وقعه او لا توقعه فهو على كل حال من صورة واحدة وكلف سعادتك واحدا من وكلاء المحامين ليبدأ فى اجراءات التسجيل •

– لا أحب أن أمدحك ولكن لا بد أن أقول لك انى فخور بك •

– أرجو أن أشعر بنصف هذا الشعور نحو نفسى •

– والآن ماذا ستعمل فى الزواج •

– تأجل طبعاً •

– كيف ؟

— عديلة من نفسها قالت لا بد أن تنتظر سنة على الأقل
وأبوها أيد هذا الرأي بحرارة .

— وأنت ما رأيك .

— لو لم يقولوا هذا ما كنت تزوجت الآن على أى حال .

— نعم ولكن سنة كثير .

— والله أعلم .. ربما أكثر

— كيف ؟

— أتريدنى أنا أن أتزوج وأفرح وأنجب أطفالا وهناك روح
انسان متهم فى قتل أبى يتردد الأمر فيها بين البقاء والازهاق ..

— وأنت ماذا بيدك .

— لا أعرف ولكننى لا أتصور أن أتزوج والقضية منظورة .

— صلاح .. أتكون كرهت عديلة .

— بل يزداد حبهى لها كل يوم عن اليوم الذى قات .

— عجيبة .

— يا عمى حتى يتزوج الانسان .. وأقول الانسان لا بد أن
يكون مرقاح الضمير .

— يا بنى ضمير الانسان لا يشغله الا ما يصنعه الانسان
نفسه .

- - أو ما يصنعه أبوه .
- - وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه .
- - وهذا طائرى يا عمى .
- - اعانك الله على نفسك يا ابنى .
- - اذع لى .
- - لم تقل لى فيم انتويت ان تعمل .
- - عرض على عميد الحقوق ان اتقدم لأشغل وظيفة المعيد الخالية بالكلية فطلبت ان يمهلى للعام القادم .

• - لماذا ؟

- - لى غرض فى هذا .
- - الا تقوله لى .
- - ستعرفه فى حينه .
- - والنيابة .
- - هى أيضا لم اتقدم لها .
- - انن فماذا تنوى ؟
- - طلبت قيدي فى الحمامة .
- - ومتى ستحلف اليمين .

- - اظن بعد شهر تقريبا .
- - واين تريد ان تتمرن .
- - لم افكر بعد .
- - اتحب ان تتمرن في مكتب الدكتور عبد الوهاب .
- - وكله ابن حسن عن ابيه وليس معقولا ان اتمرن في مكتب يتراقع عن قاتل ابي .
- - اذن اكلم الاستاذ عاطف اليهنسي .
- - عظيم .
- - الان .. اى مكتب يتمنى ان تتمرن عنده .. انت جيد جدا يا استاذ .. وهل انت قليل .. وعاطف من اعز اصدقائى .
- - وهو كذلك .

انعدت دائرة الجنايات ونظرت في قضية حسن عبد الحميد
وتحدد يوم المرافعة • وتكلم وكيل النيابة ولم يكن محتاجا لاسهاب
فالقائل معترف والجريمة تمت مع سبق الاصرار والترصد فهو
يطالب باقصى العقوبة •

وطلب صلاح ان يتراجع بوصفه مدعيا بالحق المدني فسمح
له وبدأ المرافعة •

— بسم الله الرحمن الرحيم أقولها يا حضرات المستشارين
لا افتتحا للمرافعة فحسب وإنما لأتأمل مع المحكمة الموقرة لماذا
أختار سبحانه الرحمة الرحيمة من بين أسمائه الحسنی جميعا
ليجعل منها فاتحة فاتحة الكتاب •• اليس هذا الآن صفة الرحمة
الرحيمة هي أحب الصفات الى السدات العلية • وقد جعل الله
الانسان سيد المخلوقات لانه قبل أن يحمل الأمانة التي عرضها
سبحانه على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها وحملها الانسان فنصبه سبحانه سيد خلقه أجمعين
فانسان بلا رحمة ليس انسانا جديرا أن يحمل الأمانة •• والأمانة
يا حضرات المستشارين هي الاختيار الذي منحه الله للانسان حين

هداه النجدين وحرم سائر مخلوقاته من حق الاختيار هذا
 فالحيوان لا يستطيع أن يكون الا حيوانا والملائكة لا تستطيع أن
 تكون الا ملائكة .. والانسان وحده هو الذى يستطيع أن يكون
 انسانا أو حيوانا أو ملاكا وبهذا الاختيار يصبح الانسان أما
 شرا من الحيوان لأنه اختار أو خيرا من الملائكة لأنه اختار
 وكلاهما لا يملك الاختيار .. ونحن فى عصر يا حضرات
 المستشارين فرض فيه على مصر أن يكون أبناؤها مسحوقين ..
 وحينما يسحق الناس يسود الجبروت ويفشسو الظلم ويصبح
 النفاق هو الزعيم الأول .. فنحن نناقى السلطات ونناقى من
 ينافقون السلطات ونناقى الغش ونناقى الخداع ونناقى الرشوة
 ونناقى التسليس ونناقى السرقة ونناقى القتل ونناقى الاعتداء
 على الأعراض والأموال والكرامات وعزة الأدمى .. حضرات
 المستشارين اننا نناقى النفاق ذاته وابناء جيلى نشأوا فى هذه
 الفترة القاتمة السواد . وقد تبينا أمرنا بعد أن ادلهم الخطب
 واشتدنى أزمة تنفرجى قد أوشك ليلىك بالبلج هكذا قال الشاعر
 وهو ينظر الى قوله سبحانه فان مع العسر يسرا ان مع العسر
 يسرا والعسر هنا واحد لأنه معرف بال واليسر مطلق لأنه محرز
 من التعريف بحكمة الاله الاعظم ولهذا قال المفسرون لا يغلب
 عسر واحد يسرين ابدا فلا عجب يا حضرات المستشارين أن يبدأ
 جيلنا نحن أن يصنع اليسر بيده مؤيدا بروح من بارئء النفوس
 وملهمها فجورها وتقواها . وقد أن لنا أن نتبع تقوانا بعد أن
 أوغل عصرنا فى فجوره وخلق من المعاصى ما لم تعرفه البشرية .

ان هذا المتهم المائل امامكم لم يقتل أبى وانما قتل أبى
 نفسه .. وان هذا المتهم حين أطلق الرصاص على أبى كان فى
 حالة دفاع شرعى عن الكرامة التى هى أعلى من النفس .

اما ان أبى قتل نفسه فيما صنع من فظائع فى حق البشرية
 وبما قتل من انفس وبما قهر من رجولة الرجال وبما أنزل من
 كرامات الانسان .. وأى شيء أقسى على نفس الرجل من أن يكون
 ذليلا امام زوجته وابنه وابنته ولا يملك لظالمه دفعا ولا للكرامته

صونا ٠٠ وإذا قالت النياية ان المتهم هو أيضا قتل طلبت الى
الزميل ممثل النياية ان يرجع الى قول الله سبحانه انه من قتل
نفسا يغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا .
وقد كان أبى وأشهد في هذه الساحة المقدسة مقسدا في الأرض
فحق عليه عقاب . وإذا قيل أن العقاب من حق المجتمع ومن حق
الله وحده انتقلت الى موقف المتهم مرتثا انه فعل فعله في حالة
دفاع شرعى عن الكرامة التى هي اقدس عند القلاح الأصيل . من
النفس ٠٠ تصوروا يا حضرات المستشارين حال هذا المتهم
مقهورا على ملا الناس وأمام روحه وأبنائه وبناته مرغما على
أن يبيع أرضا لا يريد بيعها ٠٠ ما نظرتة الى نفسه والنظرات من
حوله احتقار أو اشفاق وكلتا النظرتين أشد على الحر وقعا من
كل رصاص العالم فإذا قيل فما باله انتظر هذه السنوات فإن
الجواب حاضر من قريب ٠٠ لقد ذاق هو الذل مقهورا بالجبروت
ولم يرد لأبنائه أن يذوقوا الذل مقهورين بالحاجة . فلو أنه صنع
صنيعه يوم أرغم على ترك أرضه لترك أطفاله صغارا يتكفون
الناس ويمدون أيديهم فى طلب الجدوى فانتظر تزیده السنوات
شعورا بالمهانة والذلة حتى استوى أبنائه رجالا ٠٠ ودافع عن
كرامته التى امتهنت طوال هذه السنين .

وأنا يا حضرات المستشارين لست أدعو بقولى هذا الى
الفوضوية التى يتاح فيه للفرد أن يمسك القانون بيديه يشرعه
هو ويحاكم به الآخرين وينفذه أيضا فإنه اذا حدث هذا وقعنا
فى هوة سحيقة ينهار فيها بنيان المجتمع كله الى حضيض ما له
من تزار ٠٠ انما أحاول فقط أن أخفف عبء جريمة القتل العمد
التي توجهها النياية وهى المدافعة عن حق المجتمع الى قاتل أبى
هذا ٠٠ ان هذا الذى أقول هو ما يعتل فى نفسه دفعنى الى قوله
محاولة منى أن يكون المسدل أعظم من الأبوة وأن يكون حق
الانسان فى الكرامة التى وهبها الله له مقدسا قداسة الروح
الانسانية ٠٠ وأن تكون مصر مسبح السنين لا غابة نئاب .

وبعد يا حضرات المستشارين فقد يقال اننى دافعت عن
التهم وجحدت حق الأبوة والله وحده يعلم كم اقدس الأبوة ولكن

تقديسي للحق ولكرامة الانسان اشد . واننى بهذا الذى اقوله
أتوجه الى الذات العلية أن أكون قد كفرت بما قلت عن بعض ما
صنع أبى بالانسان سيد المخلوقات وبما امتهن من كرامته وبما
أذل من عزته وبما أزهد من أرواحه .

وقد يقال شباب فى مقتبل العمر انتهز قتل أبية فرصة ليصنع
منها لنفسه شهرة . وانى أحتمل هذه القالة ولا أحتمل أن أكنتم
الحق نفاقا للمجتمع ولكننى أعلن منذ اليوم أننى أعتزل الحاماة
وأقبل أى وظيفة قد تعرض على .

ولو كنت وكيفا عن موكل فى هذه القضية ما قبلتها ولكننى
يا حضرات المستشارين أنا وحدى الموكل والوكيل فلا وارث للحق
المدنى غيرى ولهذا رخصت لنفسي أن أتشرف بهذا الدفاع فى
ساحتكم القدسية .

وأنتهى مرافعتى يا حضرات السادة المستشارين بتنازلى عن
الدعوى المدنية تاركا لاستاذى ممثل الدفاع البدء فى مرافعته .

وأنتهى صلاح كلامه واتجه الى باب الخروج وإذا عديلة
التي كانت جالسة على مقعد بجانب المشى تقف وإذا هى حين
يقبل اليها تحتضنه وتقبله على ملا الناس لأول مرة فى حياتها
ويصحبها ويخرجان .

ويبدأ الدفاع مرافعته :

— حضرات المستشارين . . ليس لى بعد مرافعة المدعى
بالحق المدنى أى مرافعة اضيفها الا أن أخبر عدالة الحكمة أن
هذا الشاب الذى كان ماثلا أمامكم قد أرجع الحق الى كل من
اغتصب أبوه منه حقا .

وانتهى المرافعة بطلب البراءة . .

والتفت رئيس المحكمة الى ممثل النيابة :

– النيابة لها تعليق ..

– النيابة تفوض الأمر للمحكمة .

ذهب صلاح مع عديلة الى منزل ابيها ولم يكن هنالك ما يستطيع واحد منهما أن يقوله . هو لا يزال مرتعشا بالموقف الذى وقفه مقتنعا انه الحق . وهى مبهورة به ولم يطل بهما الافراد جاء أبوها وقالت عديلة :

– ما الذى أخرك ؟

– كنت أنتظر الحكم ..

ولم يسأل صلاح عن الحكم وقال لوالد خطيبته :

– لقد انتظرت هذا اليوم لأسألك هل مازلت مصرا أن تزوجنى ابنتك بعدما شهدت اليوم وبعد أن بددت ثلثى الثروة التى تركها أبى والتى كانت فى حسابك يوم قبلتنى . اما عديلة فقد أعلنت رأيها فى المحكمة فما رأيك أنت .

– يا بنى انا لست مصرا ولكن لو تكن خاطبا لابنتى لسمعت اليك لكى تخطبها .. انا اليوم أتشبه بك وفى تشبثى بك تشبث بالأمل فى مصر الغد ..

رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٠٣
التقديم الدولي ٢ - ٠٩٠ - ١٧٢ - ١٧٧

دار قباء للطباعة
بالمطقة الصناعية ٥١ أمام المجاورة السابعة
بمدينة العاشر من رمضان - ت : ٣٦٢٧٢٧

الناشر
مكتبة غريب
٢٠١ شارع ٧٧ ص. ١٠٠ (البحر)
٠ تليفون ١٠٢١٠٧

الثمان ٢٥٠ قرشاً

To: www.al-mostafa.com